أيقونة الشفاعة

(وهي أيقونة بلغارية من القرن الخامس عشر الميلادي – دير باشكوفو ببلغاريا)

المسيح جالسًا على عرشه

عن يمينه القدِّيسة العذراء مريم، وعن يساره القدِّيس
يوحنا المعمدان وهما يشفعان أمامه عن كنيسته وشعبه

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٩ **أكتوبر ٢٠٢٥م.**

العدد ٦٦٧ **توت / بابة ١٧٤٢ش.**

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ» ١

مقال للأب متى المسكين:

حاجتنا إلى المسيح ٤

من كتابات الآباء الرسوليين:

رسالة القدِّيس إغناطيوس ... إلى أهل أفسس ١٠

من أقوال الآباء:

قوَّة الروح القدس والخليقة الجديدة ١٥

تعاليم آبائيَّة:

الحريَّة الحقيقيَّة ١٩

ادخل إلى العمق (٥٥):

«مَنْ هُوَ قَرِيبِي؟» ٢٥

دراسات كتابيَّة:

"السَّالِكونَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ ..." (١) ٣١

من التراث الكنسي: معرفة الله (٢٢) ٣٧

بحث تاريخي:

أديرة وكنائس منفلوط الأثريَّة (٢) ٤٢

تقديم كتاب: شريك عرش مملكة مجدك..... ٤٧

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 62 - 64 ..... ٥٦

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس غريغوريوس اللاهوتي

التوازُن في شخصيَّة القدِّيس أثناسيوس الرسولي

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[فإنَّ الكهنة غير الشَّرعيِّين والمُغتصبين للسُّلطة ...
يسقطون في أحد هذين الخطأَين:
إمَّا أن يتساهلوا بلا حدودٍ،
حتَّى إنَّهم لا يوقفون الشُّرور بل يُنادون بها،
لأنَّهم هم أنفسهم يطلبون أن يتمَّ النَّساهُل معهم؛
وإمَّا أن يلجأوا إلى صرامة السُّلطة،
لكي يُخفوا بها شرورَهم هم أنفسهم.
أمَّا أثناسيوس فلم يكن من أيٍّ من (الفريقَين)،
لكنَّه بينما كانساميًا بأفعاله، كان مُتواضعًا بفكره؛
وبينما كان غيرَ مُقترَب إليه في فضيلته،
كان سهل المنال جدًّا في مُقابلته،
وديعًا، غيرَ غضوب، يُحِسُّ بالآخرين،
حلوًا في حديثه، وأكثر حلاوة في أسلوبه،
ملائكيًّا في منظره، وأكثر ملائكيَّة في فكره،
ينتهر بهدوء، ويمدح للتهذيب،
دون أن يُفسِد بالمُغالاة الزائدة
أيًّا من هاتين الخَصلتَين الجميلتَين،
بل ينتهر في أُبوَّة، ويمدح في حزمٍ،
فلم تكن بساطته ضعفًا، ولا حزمُه قسوةً؛
بل بساطته كانت حِلمًا، وحَزْمُهُ فطنةً].

(العظة ٢١: ٩)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام
مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)
٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُصَّل
٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:
خدمة أورانج كاش وفودافون كاش
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٥
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

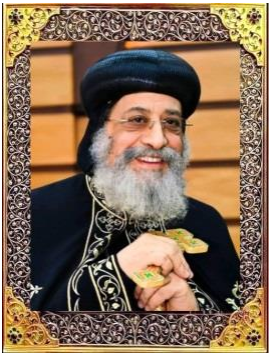

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًّا

(أ)

«امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ»

(١تس ٥: ٢١)

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

● **«امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ»:**

إنَّ كلمة "امتحان" كلمة معروفة عند الجميع صغيرًا أو كبيرًا، ولعلَّها تبعث شكلًا من أشكال الخوف، ولكن الحياة لا تخلو من الامتحانات؛ لأنها أفضل وسيلة لتقييم حياة الإنسان وسلوكه ومسيرته.

الامتحانات وُضِعَتْ لنختبر بها مدى معرفتنا وثقافتنا، فهي تُبيِّن للإنسان كيف أمكنه أن يستخدم هذه المعرفة في مجالات حياته المختلفة، من عمل أو أي أمور حياتيَّة، أو أن هذا الاختبار يكشف ما يتمتَّع به الإنسان من خبرة وحنْكَة.

كذلك وُضِعَت الامتحانات لكي نحكم بها على مَدَى استيعابنا وتحصيلنا العلمي.

والامتحانات أيضًا تكشف جودة الأشياء، فمثلًا أثناء تقديم الحَمَل في القُدَّاس يختَبِر الأب الكاهن الخُبز والخمر ويُشاركه أيضًا الشمامسة، فإن كان جيِّدًا يقول الشماس: "جيِّد وكريم".

فاكتشاف جودة الأشياء أمرٌ مُتَّبع في العالَم كلِّه. وفي جميع المصانع يوجد ما يُسمَّى quality control، وهذا للتأكيد على جودة المُنتَج وما يتمتَّع به من أمان، والمعادن أيضًا يتمُّ اختبارها بالنار لمعرفة درجة نقاوتها.

ومعلِّمنا داود النبي يُناجي الربَّ قائلًا: «يَا رَبُّ، قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي. أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ ... اخْتَبِرْنِي يَا اَللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَاهْدِنِي طَرِيقًا أَبَدِيًّا» (مز ١٣٩). فداود النبي يتكلَّم مع الله بصيغة الماضي، إنه قد اختبره، وهذا في بداية المزمور؛ أمَّا في نهاية المزمور، فيطلب من الله أن يختبره ويعرف أفكاره، لكي ما يهديه طريقًا أبديًّا. وهذا يُبيِّن مدى حياة التدقيق التي كان يعيشها هذا النبي العظيم.

مجالات امتحان النفس:

هناك خمسة مجالات نستطيع أن نمتحنها في حياتنا، وهي:

أولًا: امتحان الإيمان:

الإيمان هو الذي يُكَوِّن العقيدة التي تعيش فيها، ويُكَوِّن سلوكك الروحي وسلوكك العام في الحياة. لذلك يقول مُعلِّمنا بولس الرسول: «جَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ، هَلْ أَنْتُمْ فِي الإِيمَانِ؟ امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ» (٢كو ١٣: ٥).

كثيرًا ما نميل لأن نخدع نفوسنا ونعتقد أنَّ مجرَّد الاعتراف باسم المسيح يعني الإيمان به، فراجع نفسك دائمًا، واسألها هل أنتِ في الإيمان؟ واحذر أن يكون إيمانك شكليًّا أو نظريًّا أو إيمان كما هو مكتوب في الرقم القومي، فامتَحِن نفسك في هذا الإيمان.

فالإيمان ليس هو مُجرَّد الاعتراف باسم المسيح، أو هو مجرَّد لحظة. الإيمان هو حياة.

اسأل نفسك: هل إيماني بالمسيح هو محور حياتي كلها؟ وهل إيماني بالمسيح هو المُنظِّم لحياتي؟

هل أنت تعيش في المسيح؟ هل المسيح يحيا فيك؟ هل تسلُك بحسب وصاياه؟ هل تلتزم بكلِّ تعاليمه؟ هل تفعل ما يُرضيه؟

فمثلًا إن قُمتَ برسم دائرة بالقلم، ستجد أنَّ هذه الدائرة غير مُنتظمة، لأن ليس لها مركز؛ لكن إن قمتَ برسمها ببرجل مثلًا، ستجد أنها مُنتظمة. فيُمكن تشبيه هذا المركز بالمسيح الذي وجوده في مركز حياتنا يجعلها مُنتظمة.

ولكي تمتحن إيمانك ...

■ يجب أن يكون إيمانك صحيحًا، مبنيًّا على التعاليم والعقائد التي تسلَّمتها الكنيسة عَبْر تاريخها الطويل من ربِّنا يسوع المسيح، مرورًا بالتلاميذ والآباء الرُّسُل، إلى انتهاء الدهور ومجيء ربِّنا يسوع المسيح.

ومُعلِّمنا بولس الرسول يقول لتلميذه تيطس: «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَكَلَّمْ بِمَا يَلِيقُ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ» (تي ٢: ١).

لذلك، فالذي يُعلِّم يجب أن يُعلِّم تعليمًا صحيحًا، ويجب أن تكون الألفاظ والمُصطلحات دقيقة للغاية، فالإيمان ليس مُجرَّد معرفة أمور لاهوتيَّة. وهناك عبارة لطيفة تقول: "إنه

فيما يتجادل دارسو اللَّاهوت في العقائد ويختلفون، يتسلَّل البُسطاء إلى الملكوت".

■ يجب أن يكون الإيمان مرتبطًا بالحياة الطاهرة، فالإيمان ليس شكلًا ولكنه فِعْلٌ: «أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ» (٢تي ٢: ٢٢). وهنا يدعو القدِّيس بولس الرسول الشباب إلى الهروب من الشهوات، واتِّباع البر والتقوى. فإيمانك يعني حياتك الطاهرة، ولتتذكَّر أن جميع الشهداء على مرِّ التاريخ كانوا: إمَّا شهداء من أجل الإيمان، أو شهداء من أجل العفَّة، والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب المقدَّس وسِيَر القدِّيسين.

■ أن يكون إيمانُكَ مقرونًا بالاهتمام بالآخرين. فالإيمان ليس مِلْك الإنسان أي هو بداخله فقط، ولكنه يُترجَم إلى اهتمام بالآخرين، كما يُعلِّمنا القدِّيس بولس الرسول: «الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ» (غل ٥: ٦)، وأيضًا يقول: «وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلَا سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ» (١تي ٥: ٨).

■ يجب أن يكون الإيمان بلا رياء، كما يقول المَثَل الشعبي: "من برَّه هلَّا هلَّا، ومن جُوَّه يعْلَم الله"، بمعنى أن يكون الإنسان له شكل الإيمان وصورة التَّقوى، ولكنه من الداخل يُنكر قوَّتها، ولا تُوجد قوَّتها فيه، وهذا أصعب ما يصل إليه الإنسان.

لذلك يقول الكتاب: «وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلاَ رِيَاءٍ» (١تي ١: ٥)، ومعلِّمنا يعقوب يقول: «لكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ، وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي» (يع ٢: ١٨)، فالأعمال هي التي تكشف قوَّة ونقاوة الإيمان.

■ يجب أن يحفظ المؤمن نفسه من الاشتراك في أعمال الظلمة، فالإنسان المؤمن لا يستطيع أن يكذب، أو ينظر نظرةً شريرة، أو يدخل في صداقة رديئة ... إلخ: «لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟» (٢كو ٦: ١٤).

صاحب الإيمان القويم لا يشترك في أيِّ أعمال ظُلمة مهما كانت صغيرة. لذلك يجب أن تمتحن إيمانك على هذه الصفات الخمس لتَعْلَم ما هو معدن إيمانك؟ وهل هو إيمانٌ صحيح أم ماذا؟ **(يتبع)**

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقال للأب متى المسكين

حاجتنا إلى المسيح[1]

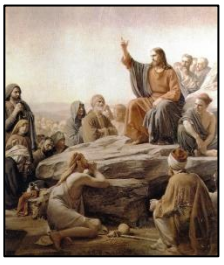

إنَّ أعظم الاختبارات التي لفتت نظري بشدَّة في بكور حياتي المسيحيَّة، هو أنني حينما أشعر بحاجتي إلى أشياء كثيرة تنقصني في مُعاملاتي مع الناس أو الكنيسة أو الرهبان، ويبلغ بي الضِّيق والألم والحزن مبلغًا شديدًا يُضعِف من نشاطي وخدمتي وتأثيري في الآخرين؛ كنتُ بمجرَّد أن أقترب من شخص يسوع ربِّي وأُحسَّه وكأنَّه آتٍ من بعيد بعد غيبة أكون أنا دائمًا السبب في طولها أو قصرها؛ أقول حينما أستشعره يقترب مني، يطفر قلبي فرحًا ويتجمَّع عقلي مرَّةً واحدة، فيسقط عني كلُّ إحساس بحاجاتي الكثيرة وعَوَزي ونقصي، ويرتفع المسيح فوق أُفق حياتي كلها. حينئذ أراه هو أكثر من كلِّ حاجاتي، وأُحسُّ بملئه يفيض ويجرف حياتي في تيار حُبِّه بتسليمٍ يفوق العقل.

كذلك، وبنفس المقدار والقوَّة، حينما كانت تعصف بي أفكارٌ كثيرة من جهة مُعاملات الله أو عنايته على المستوى الخاص أو العام، وتضيق نفسي في داخلي جدًّا حتى الاختناق، لأني أودُّ أن يظهر الله دائمًا مُتفوِّقًا على كلِّ المستويات: مستوى الرحمة تارة، ومستوى العدل والتأديب تارة أخرى؛ مستوى الأُبوَّة الحانية مرة، ومستوى السيادة والنقمة مرَّة أخرى؛ فأظل تتجاذبني المشاعر المُتعارضة دون أيَّة راحة أو سلام. ولكن بمجرَّد أن أستشعره يقترب مني، تهدأ نفسي في الحال مرَّة واحدة وتسقط عنِّي جميع التساؤلات والهموم، ويظهر المسيح متفوِّقًا جدًّا على كلِّ موازين تفكيرنا، سواء كانت من جهة رحمتنا أو عدلنا، أُبوَّتنا أو سيادتنا جميعًا! وفي هذه اللحظات كثيرًا ما يُعرِّفنا المسيح بسرِّ مشيئته.

بهذَيْن الاختبارين، علمتُ يقينًا أنَّ المسيح هو حاجة حياتنا الوحيدة التي تنقصنا، وأننا إذا بعدنا عنه ازدادت حاجاتنا إلى أشياء كثيرة من هذا العالم، وازداد قلقنا جدًّا من جهة مصير الأمور الخاصَّة والعامة في حياتنا.

---

(١) كلمة أُلقيت بكنيسة أنبا مقار ببريَّة شيهيت مساء يوم السبت الموافق ٣ مارس ١٩٧٥م.

فلماذا يظهر شخص المسيح هكذا كأنه مِلءُ كلِّ شيء؟!

والجواب الواحد الوحيد الذي يردُّ مرَّةً واحدة على عشرة آلاف سؤال، أو على وجه الأصحِّ يلغي بوجوده كلَّ سؤال! الجواب على ذلك: يلزمنا أن نُدرك أنَّ البشرية تجمع في كيانها عالَمَيْن مُتناقضَيْن: عالَم المادة، وعالَم الروح. وقد يبدو هذا الجمع نوعًا من الثراء المُدهِش في الطبيعة البشرية، ولكن ثمنه فادحٌ للغاية. فالمُثُل العُليا كلها التي تأتي من عالَم الروح المُنبث في كيان الإنسان، يُقابلها واقع مادي مُتهالِك في حياة الإنسان قد يصل إلى أمثلة غاية في الانحطاط والحقارة. فقد يقتل الإنسان أخاه من أجل لُقمة العيش، أو يبيع ميراثه السمائي بأكلة عدس! هذا التوتُّر والتمزُّق الكائن في صميم كيان الإنسان بين المُثُل العُليا للروح وواقع الجسديَّات، ثبت بحسب تاريخ المدنيَّات والفلسفات والعلوم أنه لا يوجد أيُّ أمل في إقامة حالة صُلح "طبيعي بينهما"، سواء بتدخُّل العقل أو الحكمة، أو تهذيب المهارات، أو مجرَّد الأوامر والوصايا الإلهيَّة، أو حتى التأديب بالعِصِي!! فبمجرَّد أن تعصف الغرائز، تمتدُّ يد الإنسان إلى سلاح التمرُّد على كلِّ القِيَم الروحيَّة، فيُصاب الإنسان بعَمًى روحي مؤقَّت يجعله يقترف أشنع التعدِّيات حتى ضد نفسه!

هنا يُظهِر المسيح، ببشريَّته الكاملة ولاهوته الكامل، المعجزة العظمى التي صالَحت كلَّ الواقع البشري – من جهة غرائزه وعواطفه وانفعالاته الجسديَّة في احتكاكه بالآخرين والزمن وحاجاته ونواقصه وتعثُّراته الخاصة – صَالَحته مع المُثُل العُليا الروحيَّة، أو بالحري مع الله نفسه، صُلحًا كاملًا ودائمًا وأبديًّا بآنٍ واحد، وصُلْحًا عميقًا مُتجذِّرًا في أعماق الإنسان نفسه، لأن كلَّ ما للمسيح صار مِلْكًا للبشريَّة!

هنا صار المسيح معجزة الإنسان ومعجزة الله بآنٍ واحد: معجزة الإنسان في وصوله إلى عُمق طبيعة الله، ومعجزة الله في دخوله إلى عُمق طبيعة الإنسان!! ولكي ندخل في نور هذه المعجزة، يلزمنا أن نُدرِك أنَّ هذا الصُّلْح لا يقوم على نظرية مهما تألَّفت النظريات ووُضِعَ لها آلاف المُجلَّدات، ولا على مجرَّد تنفيذ وصايا. فالصُّلْح الذي أكمله المسيح، هو صُلْحٌ شخصيٌّ تمَّ في المسيح نفسه، بقدراته هو وليس بقدراتنا نحن، وكانت نتيجة هذه المُصالحة فائقة للعقل البشري. ويكفي أن نُدرِك أنها بمجرَّد أن تمَّت في تجسُّد المسيح وصلبه، شملت البشرية في شخص يسوع الذي يُمثِّلها لدى الله الآب.

الإنسان تصالَح مع نفسه، لأن الله تصالَح في جسم بشريتنا الذي للمسيح، الذي أَخَذَه مِنَّا. لذلك نقول بمنتهى الثِّقة والاختصار: إننا تصالحنا مع الله في المسيح!! هذا الصُّلْح شخصيٌّ للغاية، هو نوعٌ من الوساطة الفريدة التي قام بها هذا الوسيط الوحيد – المسيح – بين الله والناس، فنشأت عنها قوَّة جديدة دخلت العالَم، بل دخلت السماء!

إنَّ الصورة الأصغر والأضعف في مسيحيَّتنا، هي محاولاتنا الفاشلة في تطبيق وصايا يسوع المسيح على مشاكلنا اليوميَّة بدون الربِّ يسوع نفسه. أمَّا الصورة الأقوى والأعظم، فهي أن يدخل "شخص المسيح" حياتنا، فتسقط في الحال كلُّ مشاكلنا، ونرتفع في الحال إلى مستوى وصايا الربِّ يسوع بدون مهارة شخصيَّة على الإطلاق!

المرارة التي يذوقها الإنسان المسيحي في داخله من جرَّاء التمزُّق اليومي، حينما تصطدم نفسه بوصايا المسيح ويقف عاجزًا تمامًا عن اللّحاق بها، مع إنه يحبُّها؛ هي ناتجة من كونه يحاول أن يصل إلى وصايا المسيح بدون المسيح، وهذا مستحيل! المسيح وَضَعَ لنا الوصية لكي نختبر بها وجوده: «جَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ، هَلْ أَنْتُمْ فِي الإِيمَانِ؟ امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ. أَمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنْفُسَكُمْ، أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ فِيكُمْ، إِنْ لَمْ تَكُونُوا مَرْفُوضِينَ؟» (٢كو ١٣: ٥). لذلك يقول الرب: «الَّذِي عِنْدُه وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي» (يو ١٤: ٢١)، بمعنى: إنَّ الذي يحبُّني هو الذي يستطيع أن يعمل وصاياي!!

شخص المسيح أولًا!! وبعد ذلك كلُّ ما للمسيح!

المسيحي مُطالَب دائمًا، وفي كلِّ لحظة، أن يُعلِن مسيحيَّته لغير المسيحي وللمسيحي بحدٍّ سواء. هذه المُطالبة المُلحَّة تجعله في توتُّرٍ دائم، لأنه يتحتَّم عليه أن يكون على مستوى الحقِّ حتى يراه ويكشفه، وعلى مستوى الإيمان حتى يتصرَّف بمقتضاه قبل أن يُعلنه، وإلَّا أصبح خِزْيًا لنفسه ولمسيحه.

ولكن، مَنْ ذا الذي يستطيع أن يُعلِن المسيح، والمسيح في قامته شيءٌ لا يمكن بلوغه؟ فالمسيح هو قمَّة كلِّ ما في السماء وما في الأرض، يجمع في شخصه كلَّ شيء؟ ثم فوق ذلك كله هو الصورة المنظورة لله غير المنظور. فمَنْ ذا الذي يستطيع أن يُعلِنه أو يشرحه؟ عقل الإنسان! أمرٌ مستحيل، بلاغة ومنطق! أمرٌ مستحيل.

المسيح وحده هو القادر أن يُعلِن المسيح. حينما أستشعره يقترب منِّي، أُلقي جميع

أسلحتي أو هي تسقط كلها من تلقاء ذاتها. المسيح وحده لسان حقِّي وإيماني الذي يتكلَّم فيَّ، أو حتى دون أن يتكلَّم فيَّ، فإنه قادرٌ أن يُعلِن ذاته بطُرُقٍ لا حَصْرَ لها وبسرٍّ لا يُنطَقُ به. فشخص المسيح قوَّة لانهائيَّة تُعلِن ذاتها في الإنسان بدون أيِّ جهد من الإنسان، بل إنَّ جهد الإنسان هو المُعطِّل الأكبر لاستعلان المسيح. الحاجة ماسَّة جدًّا فقط أن نستشعر قدومه لدينا، وأن نستقبله بكلِّ كياننا، ثم نتركه يتكلَّم ويعمل فينا.

اعتراض الناس على مسيحيَّتنا لا يقوم إطلاقًا على شخص المسيح، ولكنه يقوم على عدم وجود المسيح في مسيحيَّتنا. لو كان المسيح "بلاهوته" كائنًا في حياتنا، ما اعترض إنسانٌ قط على لاهوت المسيح! الناس عثروا في المسيح، لأننا وضعنا المسيح في حياتنا جنبًا إلى جنبٍ على مستوى الحاجيات الأخرى، على مستوى السَّعي لأَكْل خُبز الجسد، بل على مستوى المُتعة والفُسحة والتَّسلية والعِلْم والسياسة. فظهر المسيح الذي فينا أقلَّ من قامته الحقيقيَّة ألف ألف مرَّة. فإن كان المسيح إلهًا، لَزِمَ أن يكون أعلى وأعظم وأسمَى من كلِّ شيء في حياتنا، بل أعظم من حياتنا.

الحاجة ماسَّة جدًّا أن تكون مسيحيَّتنا هي المسيح نفسه، وليس مبادئنا أو أطماعنا أو كبرياءَنا وخُبثنا، أو شهوتنا للظهور والتكريم والمجد الدنيوي الباطل، الذي نُخفيه وراء اسم يسوع!

الناس لا يكرهون المسيح قط. المسيح محبوبٌ، وهو فعلًا "ابن المحبة"، والمحبة ذاتها بكلِّ أعماقها التي يشتهيها كل إنسان. الناس يكرهون أخلاقنا وسلوكنا وصفاتنا المُزيَّفة التي صنعناها باسم المسيح كذبًا ورياءً.

إنَّ التفريق بين المسيحيَّة والمسيح، أصبح اليوم أكثر من كلِّ العصور السالفة ظهورًا فينا، بل وصراخًا ضدَّنا! لأن سلوكنا وأعمالنا وكلماتنا تخرج مسيحيَّة فقط، ولكنها لا تصدر عن المسيح قط. فهي ليست لها روح المسيح ولا رائحة المسيح الذكيَّة؛ لذلك لا نتعجَّب إن كانت مسيحيَّتنا غير محبوبة!

الحاجة ماسَّة جدًّا أن نتوجَّه إلى شخص المسيح مرَّةً أخرى ليظهر في حياتنا، فتخرج نهضة صادقة تتلاشى فيها أعمالنا المُزيَّفة، وتظهر أعمال المسيح الحقيقيَّة التي تستطيع أن تشهد له بدون تدخُّلٍ من عبقرياتنا الميتة! لأن الناس يريدون أن يأتوا إلى المسيح نفسه،

وليس إلى أشخاصنا الترابيَّة. هل يمكن أن نوافق على ذلك؟ إنَّ المشكلة العُظمَى التي تعترض طريقنا إلى المسيح، هي أننا نمسك بذواتنا ولا نمسك بالمسيح، وعند الخطر أو التعب تظهر أنفسنا ولا يظهر المسيح!

وأخطر ما في هذه الضلالة أنَّ أنفسنا تظهر جيِّدة في نظرنا، لذلك لا نجد أيَّة حاجة أن نترك أنفسنا لنمسك بالمسيح، فيظل المسيح الحقيقي مخفيًّا عن عيون الناس وأسماعهم! وحتى إذا ظهرت أنفسنا أمام أعيننا أحيانًا أنها حقيرة ومُخادِعة وكاذبة وتعيش في ضلالة، إذ تبشِّر بالمسيح والمسيح غائبٌ عنها تمامًا؛ فإنها لا تَقْوَى على التغيير، ولا تجد القناعة الكافية أن تُجازف وتموت ليُحييها المسيح لنفسه من جديد. لأن الحياة لحساب هذا الدهر لذيذةٌ جدًّا ومُعزِّيةٌ للنفس التي تطلب مجدها، وخصوصًا إذا أضافت إليها أقوالًا مسيحيَّة، فحينئذ تأخذ صورة المجد النوراني المُزيَّف ولا يستطيع أحدٌ أن يكشفها إلَّا الذين فيهم نور يسوع الحقيقي!! متى نؤمن بالآية: «فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا، وَلكِنْ بِأَنْفُسِنَا عَبِيدًا لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ» (٢كو ٤: ٥).

كم من خُدَّام وكارزين قدَّموا ذواتهم للناس مُتخفِّيَّة في صورة تعاليم المسيح، فتعَثَّر الناس في المسيح، ووقع اللوم والخِزْي ليس على أشخاصهم بل على شخص المسيح الضعيف فيهم! مع إنَّ الذي يشهد للمسيح يتحتَّم عليه بالضرورة أن يأخذ من المسيح ويُعطي للآخرين. هذه هي روح الشهادة ومعناها، وهي تتمُّ بتوسُّط الروح القدس العارف بكلِّ ما للمسيح ويتوق توقًا أن يشهد له فينا كما ينبغي!! ولكن كم مرَّة أخذنا الروح القدس ومنعناه عن الشهادة عندما جعلنا شهادة يسوع تخدم أمجادنا ومنافعنا الخاصة! الحاجة ماسَّة أن نتحرَّر من ذواتنا، فهل نقبل هذا؟

ثمَّ، مَنْ يقرأ سيرة الربِّ يسوع المسيح ولا يشعر في عمق أعماقه أنَّ المسيح هو أجمل وأوضح صورة لله؟ فإن كان الله هو كالمسيح، فالله فعلًا إلهٌ مُحبٌّ للبشر حقًّا وأبٌ حانٍ جدًّا ومُقتَدِر بلا حدود: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو ١٤: ٩)!

إنَّ البشريَّة ستظلُّ تعيسة حتى تجد الله، ولن تجد الله إلَّا في المسيح. كان ينبغي أن يجد المسيح في حياتنا فرصةً ليُظهِر قدرته هذه السرمديَّة (أي التي بلا بداية وبلا نهاية) ولاهوته، ليؤمن الناس بأنه ابن الله حقًّا، ليكون لهم به خلاصٌ وحياةٌ أبديَّة، وليروا فيه الآب حقًّا.

ولكن نحن المسؤولون عن تعطيل الإيمان بالمسيح، وذلك بسبب تقديم ذواتنا بدل تقديم المسيح الحقيقي؛ وهكذا تمجَّدت بشريتنا على حساب لاهوته!

إنَّ عمل المسيح الفدائي يتركَّز في النهاية في أن نكون مثله، نحمل أخلاقه وصفاته، عندما يملأ حياتنا ويملك علينا، لا عن طريق التعليم والتهذيب، ولكن كما يقول القدِّيس بولس الرسول: «لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ» (أف ٣: ١٧).

وعندما يحمل الناسُ المسيحَ، وبالتالي أخلاق المسيح وصفاته، فقد يكون هذا معناه أنَّ البشريَّة تجاوزت نفسها، وتجاوزت بالتالي كلَّ عجزها ومرضها وموتها، ودخلت في طورها المُمجَّد الذي لا يُمتُّ قط إلى ميراثها الترابي الميت.

هذه هي الخليقة الجديدة للإنسان، ثم هذه هي قدرة المسيح الإلهيَّة أن يرفع الإنسان فوق ذاته، فيتجاوز عجزه ويدخل بقوَّة المسيح وحياته الفعَّالة إلى مجال الفعل والحريَّة الإلهيَّتَيْن؛ فيستجيب الإنسان استجابةً حُرَّة واعية فَرِحَة لله ولكلِّ إيحاءاته بدون قصورٍ وبدون كلل.

هذا هو مستقبل الإنسان الجديد في المسيح، وهذا هو ميلاده الجديد. لذلك دُعِيَ المسيح بحقٍّ "آدم الثاني"!!

إذًا، فكيف نولَد لله بدون مسيح؟ هذا مستحيل!

ثم لا ننسى إطلاقًا أنَّ المسيح أسَّس عمله في البشريَّة على أساس الصليب، والصليب وإن كان قد دخل حياة المسيح كفعل فداء بالدرجة الأولى، إلَّا أنَّ المسيح سلَّمه لنا كنموذج حياة وسلوك. فالذي لا يعيش بمبدأ الصليب ولا يُفكِّر بمبدأ الصليب، لن يُدرك عظمة المسيح التي بلغها بالصليب، ولن يفهم ويُقدِّر معنى الفداء الحقيقي.

أمَّا إذا اختبرنا الصليب في حياتنا وتذوَّقناه عن وعي وسرور؛ فإنَّ ذلك سيكون المدخل السِّرِّي لمعرفة المسيح ومعرفة عظمة قُدرته الفائقة نحونا! ثم من خلال شركة آلام الصليب، ندخل مع المسيح في عهدٍ أبديٍّ كوارثين كل أمجاد وتعزيات الآب في السماء.

يا لسرِّ المسيح! بل يا لسرِّ الإنسان في المسيح!

(٣ مارس ١٩٧٥م)

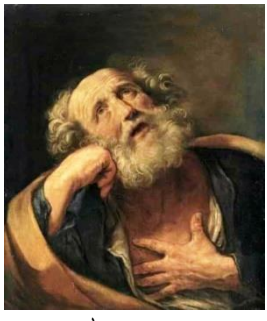

رسالة القدِّيس إغناطيوس
المتوشِّح بالله إلى أهل أفسس[1]

من إغناطيوس المدعو "الحامل الإله" إلي الكنيسة المُباركة بكمال عظمة الله الآب، المُعدَّة قبل الأجيال لمجدٍ أزليٍّ راسخ ولوحدةٍ لا تتجزَّأ، المُختارة بألمها الحقيقي بإرادة الآب والمسيح يسوع إلهنا، إلي الكنيسة المغبوطة جدًّا التي في أفسس من أعمال آسيَّا (الصغرى – تركيا الآن). سلامٌ وافرٌ ومسرَّةٌ مقدَّسةٌ بيسوع المسيح.

استقبلتُ بالربِّ اسمكم المحبوب جدًّا الذي ملكتموه بطبيعتكم العادلة وإيمانكم ومحبتكم بيسوع المسيح مخلِّصنا. وبتشبُّهكم بالله والتهابكم بالدم الإلهي، أتممتم العمل الكامل المحبوب المُطابق لطبيعتكم.

وقد بادرتم مُسرعين إلي رؤيتي عندما بلغكم أني آتٍ من سوريا، يُقيِّدني الحديد من أجل الاسم المُشترك والرجاء الواحد. وإني لأرجو بصلواتكم أن أوفَّق في مصارعة الوحوش في رومية، وأن أؤهَّل لأكون تلميذًا حقيقيًّا ليسوع المسيح.

إني باسم الله أستقبلكم جميعًا في شخص "أونيسيموس"، هذا الإنسان ذو المحبة التي لا يُعبَّر عنها، وأسقفكم بالجسد الذي أَضرع إلي الله أن تحبُّوه جميعًا، وأن تكونوا مُشابهين له. مباركٌ هو الله الذي وهبكم أسقفًا كهذا الأسقف الذي تستحقُّونه ...

أنا لا آمركم كمَنْ له سلطان، ومع إني مُقيَّدٌ من أجل اسم المسيح، فإني بعد لم أصل إلى كماله. فما أنا إلَّا مُبتدئ بمدرسته، واذا ما خاطبتكم فإنني أُخاطبكم كرفقاء في التعليم، لأني محتاجٌ إلي إيمانكم وإرشاداتكم وصبركم وطول أناتكم. وبما إنَّ محبَّتي لكم لا تسمح لي بالبقاء صامتًا، فإنني أُسرع وأُحرِّضكم بأن تسلكوا بحسب حكمة الله، لأن يسوع المسيح مبدأ حياتنا هو نفسه فكر الله، كما إنَّ الأساقفة المُعيَّنين في أطراف الأرض هم فكرٌ واحد بيسوع المسيح.

---

(1) Anti-Nicene Fathers, Vol. I, 49.

عليكم أن تكونوا برأيٍ واحد مع أسقفكم. فشيوخكم المحترمون جديرون بالله ومرتبطون مع أسقفهم ارتباط الأوتار بالقيثارة.

لذلك بتناسقكم – باتفاق المحبة – بيسوع المسيح، يرتفع المديح والتمجيد ليدخل كلُّ واحد منكم في هذه الجوقة، لكي تتوحَّد نغماتكم فتأخذون طابعًا إلهيًّا، وتُرتِّلون بصوتٍ واحد – بيسوع المسيح – المدائح للآب الذي سيسمعكم ويعرفكم من أعمالكم الصالحة، أنكم أعضاء في (جسد) ابنه. من المُفيد أن تكونوا في وحدةٍ لا تشوبها شائبة حتى تكونوا في وحدةٍ دائمة مع الله.

إذا كنتُ قد ارتبطتُ مع أسقفكم في مدةٍ وجيزة برابطة وثيقة روحية لا علاقة لها بما هو بشريٌّ فيها؛ فكم بالحري أُغبطكم أنتم وقد ارتبطتم به ارتباطًا دائمًا كارتباط الكنيسة بالمسيح والمسيح يسوع بالآب، وكلُّ ذلك بتوافُق وحدة كاملة.

مَنْ كان بعيدًا عن المذبح يُحرَم من خبز الله (الإفخارستيًّا)، فإذا كانت لصلاة شخصٍ أو شخصَيْن مجتمعَيْن هذه الفعالية؛ فما قولكم بصلاة الأسقف وكل الكنيسة!

مَنْ امتنع عن الحضور إلي الكنيسة، فهو يتكبَّر ويقطع ذاته من الشركة. لقد كُتِبَ أنَّ الله "يُقاوِم المُستكبرين"؛ فلنحترس، إذًا، من مقاومة الأسقف إذا كُنَّا نريد أن نحافظ على طاعتنا لله.

يجب أن تزداد رهبتنا للأسقف كلَّما رأيناه يزداد صمتًا. كلُّ مَنْ يُرسله رب البيت لتدبير البيت يجب أن نقبله، كما نقبل مَنْ أرسله. علينا أن ننظر إلى الأسقف نظرنا إلى السيِّد. إنَّ "أونيسيموس" امتدح انتظامكم في الله، امتدحكم لأنكم تعيشون في الحقِّ بعيدين عن كلِّ هرطقة، وأنكم لا تسمعون لأحدٍ قط إلَّا ليسوع المسيح الناطق بالحقِّ.

هناك أُناس يتلفَّظون باسم الله رياءً وخداعًا، ويقومون بأعمالٍ لا تُرضيه، يجب أن تبتعدوا عن هؤلاء كابتعادكم عن الوحوش المفترسة ...

لا يوجد غير طبيب واحد، طبيب جسدي وروحي، مولود وغير مولود، إلهٌ مُتجسِّد، وفي الموت هو حياةٌ حقيقيَّة. فقد وُلِدَ من العذراء (بحسب الجسد) ومِن الله (قبل كلِّ الدهور)؛ قابلًا للآلام قبلًا (وهو في الجسد على الأرض)، وغير متألِّم الآن: يسوع المسيح ربنا.

لا يخدعنَّكم أحدٌ ولن تنخدعوا، لأنكم كلكم أبناء الله. إذا عجزت الشِّقاقات والخلافات أن تنال منكم، فإنكم تُثبِتون أنكم بحسب الله، لأني أنا ضحيتكم المُتواضعة.

أيُّها الأفسسيون، إنني أُقدِّم ذاتي من أجل كنيستكم الذائعة الصيت. لا يستطيع الجسديون أن يعملوا الروحيَّات، ولا الروحيُّون أن يفعلوا الجسديَّات. كما إنَّ الإيمان (المستقيم) لا يستطيع أن يُتمِّم أفعال الهراطقة، كذلك لا يقوم الهراطقة بأعمال الإيمان (الحقيقي)، بَيْدَ أنَّ الأفعال التي تفعلونها بحسب الجسد هي روحيَّة، لأنكم تفعلونها باسم المسيح!

علمتُ أن بعض الناس مرُّوا بأفسس وحاولوا أن يزرعوا زرعًا فاسدًا، فلم تسمحوا لهم أن يلقوا بذارهم، وسددتم آذانكم عن سماع تعاليمهم، مُتذكِّرين أنكم حجارة لهيكل الرب مُعدَّة للبناء الذي يُشيِّده الله الآب، وترتفع إلي الأعالي بآلة يسوع المسيح – بصليبه – مستعملة من أجل ذلك حبال الروح القدس. إنَّ إيمانكم هو قائدكم؛ أمَّا محبَّتكم، فهي الطريق الذي يقودكم إلي الله.

إنكم جميعًا رفقائي في الطريق: تحملون الله Θεοφόροι، وتحملون هيكل الله ναοφόροι؛ تحملون المسيح χριστοφόροι؛ وتحملون القدُّوس ἁγιοφόροι، وتُزيِّنكم وصايا يسوع المسيح. لهذا أفرح لكوني استحقَقتُ أن أكتب لكم مُحدِّثًا ومُهنِّئًا، لأنكم في كلِّ حياتكم لم تحبوا إلَّا الله وحده.

صلُّوا بلا انقطاع من أجل الآخرين، لكي تقودوهم إلي الربِّ على رجاء التوبة. أَفسِحوا لهم المجال ليتثقَّفوا في مدارس أعمالكم. واجهوا غضبهم بالوداعة، وتبجُّحهم بالدِّعة، وشتائمهم بالصلاة، وضلالهم برسوخ الإيمان، وفظاظة أخلاقهم بدماثة الطَّبع، ولا تردُّوا لهم شرَّهم بشرٍّ. كونوا لهم إخوةً بالرحمة، ولنحاول أن نتشبَّه بالسيِّد، ولنتبارى في حَمْل الظُّلم والمهانة والاحتقار، حتى لا يكون للشيطان في قلوبكم مكانٌ يُنبِت فيه عُشبه (الفاسد). اثبتوا في النقاوة الكاملة والتعقُّل جسديًّا وروحيًّا في يسوع المسيح.

ها هي الأزمنة الأخيرة، فلنخجل من طول أناة الله ونرهبها. إذا أردنا عدم الدينونة، فواحد من الاثنين: فإمَّا أن نخشى الغضب الآتي، أو أن نحبَّ النعمة الحاضرة؛ لأن الحياة الحقيقيَّة هي أن نوجد في المسيح!

لا قيمة لِمَا هو خارج المسيح، لذلك أطوف من أجله مُقيَّدًا بقيودي هذه التي هي

جواهري الروحيَّة. لعلّي أنال بها القيامة بصلواتكم، التي أسألكم ألَّا أُحرم منها، لكي أكون بين مختاري أفسس المسيحيين الذين ارتبطوا مع الرُّسُل بقوَّة المسيح يسوع.

إني أعرف مَنْ أنا وأعرف لِمَنْ أكتب، فإني مُدان وأنتم مرحومون. أنا في خطر وأنتم آمنون. أنتم عارفون بأسرار القدِّيس بولس، هذا الإنسان المشهود له بالقداسة، هذا المغبوط الذي أريد أن أترسَّم خُطَاه في طريقي إلي الله، والذي يَذْكُركم في كلِّ رسائله بيسوع المسيح.

حاولوا أن تُكثِّفوا اجتماعاتكم لتُقدِّموا شكركم وتمجيدكم لله، لأن قُوَى الشيطان تضمحل وقدرته تنحلُّ أمام اتفاق إيمانكم.

لا شيء أفضل من السلام، لأنه يُجرِّد أعداءنا المنظورين وغير المنظورين من كلِّ أسلحتهم.

إذا كان لكم إيمانٌ كامل ومحبةٌ كاملة، فلن يخدعكم أحد. هاتان الفضيلتان هما بدء ومُنتهى الحياة. الإيمان هو البدء، والمحبَّة هي المُنتهى، ووحدتهما معًا هي من الله. وكلُّ الفضائل الأخرى تواكب الإنسان لتوصِّله إلي الله.

لا يمكن أن يُخطِئ مَنْ يعترف بإيمانه، ولا أن يكره مَنْ يحب. الشجرة تُعرَف من ثمارها، كما يُعرف مَنْ يتكلَّم عن الإيمان من أعماله. لا يكفي أن نُعلِن عن إيماننا، بل علينا أن نُظهِره عمليًّا حتى النهاية.

الأفضل أن نصمت ونكون، من أن نتكلَّم ولا نكون. جميلٌ أن يُعَلِّم الإنسان، والأجمل أن يفعل ما يُعلِّمه المُعلِّم. واحدٌ فقط هو الذي قال: "كُنْ فكان"، والأعمال التي قام بها بالصمت والسَّكينة جديرة بالآب. مَنْ يملك فعلًا كلام الربِّ يسوع، يمكنه أن يسمع صمته؛ وحينئذ يصبح كاملًا ويفعل كلَّ ما يقوله، ويفهم لماذا يصمت!

لا شيء يَخْفَى على السيِّد حتى خفايانا القريبة منه. لتكن أعمالنا كأنَّ الروح قاطنٌ فينا (وهو فعلًا ساكنٌ فينا) لنصير له هياكل، ويصير إلهنا الساكن فينا، ويظهر أمام أعيننا بالمحبَّة الحقيقيَّة التي أحببناه بها.

يا إخوتي لا تضلُّوا، فإنَّ الذين يُفسِدون البيت لا يرثون الملكوت السماوي. إذا كان مقترفو هذا الإثم حسب الجسد يموتون، فما هو قصاص الذي يُفسِد الإيمان الإلهي بتعاليمه الكاذبة؟

لقد قَبِلَ السيِّد أن يُسكب الطِّيب فوق رأسه حتى يُعطِّر الكنيسة بنسائم عدم الموت.

لماذا لا نَحْظَى بمعرفة الله، أي بيسوع المسيح، فنصبح كُلُّنا حكماء؟ لماذا نُهمِل الموهبة التي أعطانا إيَّاها السيِّد ونُسرع كالحمقى إلي الهلاك؟

إنَّ روحي هي ضحية الصليب الذي هو شكٌّ للهالكين، وأمَّا لنا فهو خلاصٌ وحياةٌ أبديَّة. "أين هو الحكيم؟ أين مُباحث هذا الدهر"؟ أين هو فخر المُدَّعين الحكمة؟ إنَّ ربَّنا يسوع المسيح قد حُمِلَ في أحشاء البتول – بتدبيرٍ إلهي – مِنْ زرع داود ومن الروح القدس، ووُلِدَ وتعمَّد ليُنقِّي بالماء أهواءنا.

إنَّ رئيس هذا الدهر لم يُدرك، لا بتولية مريم، ولا ولادتها للربِّ، ولا موت السيِّد. أسرارٌ ثلاثة باهرة فعلها الله بصمتٍ وهدوء.

كيف ظهر للأجيال؟ إنَّ نجمًا قد شعَّ في السماء أكثر من كلِّ النجوم، وكان نوره لا يُعبَّر عنه، ووقف الناس مشدوهين من ضيائه، وقد واكبته النجوم والشمس والقمر، وكأنَّ نوره كان أقوى من كلِّ أنوار النجوم مجتمعة.

لقد ظهر الله متأنِّسًا ليُحقِّق تجديد الحياة الخالدة! والتدبير الإلهي الذي أُعِدَّ منذ البدء، أَخَذَ يتحقَّق. وكلُّ شيء قد اضطرب، لأن الموت أوشك أن يزول!

إذا أهَّلني يسوع المسيح، بصلواتكم، وإذا أراد الله أن أُتابع في رسالتي الصغيرة الثانية التي أنوي كتابتها لكم، شرح ما بدأته عن تدبير الله المتعلِّق بالانسان الجديد يسوع المسيح، بالإيمان به وبمحبته وبآلامه وبقيامته، خصوصًا إذا كان السيِّد يكشف لي ذلك؛ فإذا كنتم جميعكم تجتمعون كواحدٍ، متشدِّدين بنعمته وبالإيمان الواحد بيسوع المسيح ابن داود حسب الجسد: ابن الإنسان وابن الله معًا (الإله المُتجسِّد)، فإنكم متَّحدون قلبيًّا بطاعةٍ غير متزعزعة للأسقف وللكهنة، فتكسرون الخبزة الواحدة التي هي دواء للخلود وتقدمة مُعدَّة لتحفظنا من الموت، وتؤمِّن لنا الحياة الدائمة في المسيح.

إنني على استعداد لأن أبذل نفسي من أجلكم ومن أجل الذين أرسلتم إلى سميرنا (أزمير بآسيَّا الصغرى) لمجد الله. من هذه المدينة بالذات أكتب لكم لأُقدِّم الشكر لله ومحبَّتي إلى بوليكاربوس (أسقف سميرنا) ولكم. أذكروني كما يذكركم يسوع المسيح. صلُّوا من أجل الكنيسة التي في سوريا التي اقتُلِعتُ منها حاملًا قيودي إلي رومية. ومع إنني آخر المؤمنين في أنطاكية، فإنَّ الله قد اختارني لأُمجِّده. تشدَّدوا بالله الآب وبيسوع المسيح رجائنا المُشترك.

أقوال الآباء

قوَّة الروح القدس والخليقة الجديدة[1]

العظة العشرون من المجموعة الثالثة[2]

للقديس أنبا مقار الكبير

الرَّبُّ أحبَّنا من كلِّ قلبه لكي يُدخِلنا إلى ميراثه وحياته:

١ : ١ كما إنَّ الآب يحبُّ الابن (يو ٣: ٣٥، ٥: ٢٠)، والآب نفسه يُعلِّمه كلَّ الأشياء (يو ٨: ٢٨)، هكذا المسيحيُّون أيضًا يحبُّون الرَّبَّ؛ فالرَّبُّ نفسه والزَّمان والعمل يُعلِّمهم التَّعليم والمعرفة السَّماويَّة.

١ : ٢ فإن كان لأحدٍ في هذه الحياة ذهبٌ وفضَّةٌ وممتلكاتٌ وثروة كبيرة، فهو يريد أن يلد أولادًا من نفس طبيعته حتَّى يرثوا ما لأبيهم، لكن إذًا لم يكن له وريثٌ فهو يحزن ويتضايق؛ هكذا أيضًا الرَّبُّ حين خلق آدم، أعدَّ هذه الأرض والسَّماء بيتًا له وأقامه مَلِكًا على جميع المخلوقات، وهيَّأ له أيضًا الميراث السَّماويَّ لكي يصير صديقًا وأخًا للمسيح، بل وعروسًا له وشريكًا للرُّوح القدس. فكما إنَّكم تحبُّون الرَّبَّ من كلِّ قلوبكم (مر ١٢: ٣٠) وتصيرون غرباءَ لأجله وتحتملون الضِّيقات؛ هكذا الرَّبُّ أيضًا أحبَّنا من كلِّ قلبه بل وتألَّم وصُلِبَ لكي يُدخِل البشر إلى ميراثه وحياته، لأنَّه لأجل الخطاة نزل. فالرَّبُّ أبونا السَّماويُّ يحزن إذًا لم يلد أولادًا

---

(١) النَّصُّ اليونانيّ منشور في:

Neue Homilien des Makarius/Symeon, I aus Typus III, édited by E. Klostermann et H. Berthold (TU 72), Berlin, 1961.

وله ترجمة فرنسيَّة:

Pseudo-Macaire, Œuvres Spirituelles I, Homélies propres à la Collection III, éd. et tr. par Vincent Desprez, SC 275, Les éditions du Cerf, 1980, p. 234 – 243.

كما إنَّ له أيضًا ترجمة إيطالية وأخرى إسبانية، ولكنه لم يُترجَم حتى الآن للإنجليزية.

(٢) هذه إحدى عظات المجموعة الثَّالثة من عظات القدِّيس أنبا مقار، التي تمَّ نشرها مؤخَّرًا ضمن المشروع الذي افتتحه نيافة أسقفنا المحبوب المُتنيِّح أنبا إبيفانيوس، بعنوان: "الأعمال الكاملة للقدِّيس أنبا مقار". وقد تمَّ نشر الأجزاء التالية منها: ١ – العظات الروحيَّة الخمسون، ٢ – الرسالة الكبرى للقدِّيس أنبا مقار، ٣ – فضائل القدِّيس أنبا مقار، ٤ – عظات القدِّيس أنبا مقار، المجموعة الثالثة.

من نفس طبيعته ليُعطيهم ميراثًا، ملكوت السَّماوات الَّذي أعدَّه لهم.

آدم وموسى والمسيح:

١: ٣ إنَّ جميع الَّذين صاروا صِدِّيقين كانوا أُناسًا كالباقين لابسين جسدًا، لكنَّهم عملوا على الأرض عملًا عظيمًا أكثر من بقية البشر؛ لأنَّهم مَلَكُوا على الخليقة والموت. فموسى كلَّم المياه فتحوَّلت إلى دمٍ (خر ٧: ٢٠)، وكلَّم الأرضَ فصَعِدَت ضفادعُ (خر ٨: ٢، ٣)، وقال للموت: لا تدخل من الأبواب (خر ١٢: ٥)، فخضع الموت وصنع مشيئة موسى؛ وأخيرًا، عرف الموت أنَّه من ذلك الحين لن يملك فيما بعد، لأنَّه خاف من أَمْر موسى وأطاعه. لأنَّ ختم مجد النُّور الإلهيِّ كان على وجه موسى أيضًا (خر ٣٤: ٢٩، ٣٠)، الختم الَّذي كان يلبسه آدم قبل التَّعدِّي، لأنَّ آدم نفسه كان مُلتحفًا بمجد الله وبثوبٍ إلهيٍّ. وإلى موسى لم تكن هذه العلامة على وجه أحدٍ قطّ إلَّا لموسى وحدَهُ. لذلك ارتعب الموت حين رأى هذه العلامة، لأنَّه من آدم إلى ذلك الحين لم يكن لأحدٍ هذه العلامة، وبسببها توقَّع الموت أنَّه عتيدٌ أن يخضع لجنس البشر الَّذي سيملك عليه، وهذا هو ما صار. لأنَّه أخيرًا قد ظهر آدم السَّماويُّ، وبالصَّليب دان الموت ونزل إلى القبور، وأَظهَر نفسه للأنبياء والصِّدِّيقين الَّذين رقدوا قبله. ولأنَّهم كانوا حزانى بسبب أنَّهم لم ينالوا المواعيد، أقامهم من القبور وألبسهم مجدًا إلهيًّا، وظهروا في مدينة أورشليم (مت ٢٧: ٥٣)، ورأَوْا أصدقاءهم وأقاربهم ثُمَّ رقدوا ثانيةً؛ لأنَّ هناك كسَّر الرَّبُّ قيود الشِّرِّير وسلاسله وأمات إبليس.

قوَّة إيليَّا:

١: ٤ لَقد رَبَطَ إيليَّا مغاليق السَّماوات بسلطانٍ، فلم تُمطر (١مل ١٧: ١). فكيف استطاع أن يفعل هذا؟ اقترب إلى الله، آمَنَ به، أحبَّه. لن أقول لك إنَّه مدَّ يدَيْهِ إلى السَّماء، وَلَا هو بقُدرته أنزل نارًا سماويَّةً وأحرق المذبح والأنبياء الكَذَبَة (١مل ١٨: ٣٦ – ٣٨)، لكن لأجل محبَّته وإيمانه أعانته قوَّةٌ إلهيَّةٌ، وهي الَّتي أكملت هذه الأمور بواسطته. وقال صِدِّيقٌ آخر كلمةً فوقفت الشَّمس (يش ١٠: ١٣)، وآخر أغلق أفواه الأسود (عب ١١: ٣٣).

معجزات العهد الجديد:

٢: ١ فانظر كيف أنَّ الصِّدِّيقين هم ملوك المخلوقات، وأنَّ جميع المخلوقات تركض للقائهم. نازفة الدَّمِ الَّتي لم تقدر أن تُشفَى بواسطة الأطبَّاء (مت ٩: ٢٠؛ لو ٨: ٤٣)، هل الرَّبُّ هو الَّذي ذهب إليها؟ أَلَمْ تكن هي الَّتي مَسَّتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ (مت ٩: ٢٠)؟ والأعمى منذ ولادته أَلَمْ يكن هو الَّذي صرخ أوَّلًا (يو ٩: ١؛ مر ١٠: ٤٧)؟ وزَكَّا أَلَمْ يكن هو الَّذي صَعِدَ أوَّلًا

إلى الشَّجرة (لو ١٩: ٤)؟ والآنَ النَّاس الأحياء هم أموات (١تي ٥: ٦)، والرَّبُّ يأتي إلى المؤمنين منهم وَيحُلُّ في نفوسهم، وينفض عن قلوبهم الحجارة والقبور الَّتي هي الأرواح النَّجسة، ويجعل نفوسهم غير مائتة ويُحيِيهم من مَوْتِهم. فكما إنَّ الصِّدِّيقين الأوَّلين آمنوا بالرَّبِّ وركضوا إليه، هكذا نحن أيضًا ينبغي أنْ نُحبَّ الله من كلِّ قلوبنا (مر ١٢: ٣٠) ونؤمنَ به ونسمع له. وهكذا يأتي هو إلى أفكارنا وتأمُّلاتنا، وينقض كلَّ تدابير الشَّيطان وقيوده وتخطيطاته، ويُطهِّر قلوبنا من البَرَص، ويُحيِينا من موتنا، ويُنير عقولنا من عماها.

الخليقة الجديدة:

٢: ٢ إنَّ كلَّ المخلوقات الَّتي صنعها الله كانت منذ البدء: الأنهار والجبال والتِّلال والحيوانات والينابيع. فماذا حدث أخيرًا حتَّى يأتي الرَّبُّ ويلبس جسدًا ويعملَ عملًا أعظم من تلك الأعمال (يو ٥: ١٧)، بينما لم يكن شيء ينقص الخليقة بحسب الظَّاهر؟ فماذا يعني، إذًا، ما قاله: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الْآنَ وَأَنَا أَيْضًا أَعْمَلُ» (يو ٥: ١٧)، وأنا أعمل «أَعْمَالًا أَعْظَمَ مِنْ هذِهِ» (يو ٥: ٢٠)، حيث كانت هناك أرضٌ مزروعة ونباتات وسماوات وشمس وقمر؟ لكن من الواضح أنَّه يأتي ليعملَ عملًا أعظمَ من المنظورات، عملًا غير ظاهر للعيون الجسديَّة. فإنَّه يأتي ليُقوِّمَ العقول الَّتي أفسدها الشَّيطان في الخفاء، ويزرع زرعًا سماويًّا في تربة النَّفس، كما يزرع الفلَّاح الأرضَ في عالم المنظورات.

الشَّركة بين الأرضيِّين والسَّماويِّين:

٢: ٣ ألعلَّ الرَّبَّ يربط الثِّيران تحت النِّير؟ ليس هكذا! أمْ لعلَّه يزرع زرعًا منظورًا؟ ليس هكذا! بل إنَّ النَّفس هي كرمةٌ للرَّبِّ، والرَّبُّ للنَّفس، وهناك يزرع أصول المحبَّة والأفراحَ الحلوة وينابيعَ الحياة الَّتي تنبع في القلب (يو ٤: ١٤)، وسماواتٍ جديدةً وأرضًا جديدة (٢بط ٣: ١٣) وأنوارًا جديدة. فإنَّه إن كان يكسو أزهار الأرض بمثل هذا المجد (مت ٦: ٢٩ – ٣٠)، ويُلبِس الزنابق الأرجوان، فكم بالحريِّ يُمجِّد النَّفس العاقلة ويُزيِّنها بحُلَّةٍ روحيَّة ويُلبِسها أرجوان الرُّوح. فإنَّه بهذا سُرَّ، وهذا هو العمل الَّذي يعمله في النُّفوس، أنْ يمزج النَّفس بالرُّوح السَّماويِّ، ويُنشئ امتزاجًا وشركة بين الأرضيِّين والسَّماويِّين؛ فبمجرَّد أنْ نحبَّ بعضنا بعضًا ونؤمن بالله، يُعطينا ميراثه. فإنَّه يُطفئ النَّار الَّتي فينا؛ فعلينا فقط أن نُحبَّه، وما لا نقدر أن نعمله، فهو يعمله ويستأصل الموت. فإنَّ أسوار أريحا (عب ١١: ٣٠) لم يكن البشر قادرين أن يهدموها، لكنَّها سقطت بقوَّةٍ إلهيَّةٍ.

٢: ٤ وإن كان رئيسٌ عنده الختم والصُّورة الملكيَّة أمامه، فإنَّه بإشهار الصُّورة يحقُّ له أن يقتل ويستأصل جميع المُخالفين. فإذَا كانت الصُّورة المائتة عندها مثل هذه المهابة، فكم بالحري الصورة السَّماويَّة وقوَّة الله الحيَّة والختم السَّماويُّ والإلهيُّ، إذَا صُوِّرَتْ في القلوب، تُبيد وتقتل قوَّات الظُّلمة الممزوجة خفيةً في القلب وتستأصل كلَّ قوَّة العدوِّ (لو ١٠: ١٩).

المجد لعظمته ولتحنُّنه غير المحدود إلى أبد الآباد الَّتي ليس لها نهاية، آمين.

****

بسبب الكلمة الذي فينا

يُدعى الله أبًا لنا

للقدِّيس أثناسيوس الرسولي

❍✞❍

[لقد أوصانا (المسيح) أن نعتمد، ليس باسم غير المُبتدئ والمُبتدئ،
ولا باسم غير المخلوق والمخلوق؛ بل باسم الآب والابن والروح القدس.
ونحن بتكميل ذلك نصير أبناءً بالحقيقة.
وحينما ننطق باسم الآب، فنحن نعترف ضمنًا
– بنُطقنا بهذا الاسم – بالكلمة الذي في الآب.
ولكن إن كان يريد أن ندعو أباه الخاص أبًا لنا،
فلا ينبغي – اعتمادًا على ذلك – أن نُعادِل أنفسنا بالابن الطبيعي،
لأن هذا (الدعاء باسم الآب) قد صار لنا بسببه هو،
فلأن الكلمة قد لَبِس جسدنا وصار فينا،
فبالتالي بسبب الكلمة الذي فينا، يُدعَى الله أبًا لنا.
لأن روح الكلمة الذي فينا، يدعو – بواسطتنا – أباه الخاص أبًا لنا.
وهذا هو قَصْد الرسول حينما يقول:
«أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: ”يَا أَبَا الآبُ“» (غل ٤: ٦)].

(الدفاع عن قانون إيمان نيقية ٣١)

****

تعاليم آبائيَّة

الحريَّة الحقيقيَّة(١)

إنَّ طلب الحريَّة هو أحد أهم أهداف المؤمن الحقيقي. فالكتاب المقدَّس، وكتابات آباء الكنيسة، وكل الكتابات الروحيَّة التَّقويَّة، هدفها تحرير الإنسان لكي يصل إلى «حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ» (رو٨: ٢١). والحريَّة الداخليَّة (الروحيَّة) هي حجر الزاوية في أيِّ بناء روحي، وبدونها تبدو لنا محبة الله ومحبَّة القريب وإتمام الوصايا الإلهيَّة، ضربًا من المستحيل.

عبودية الذات:

والبحث عن الحريَّة يُحرِّر الإنسان من أنانيته وذاتيته، إذ يجعله يتطلَّع في حبٍّ إلى ما حوله، ويهتمُّ بما هو خارج إطاره الذاتي، فيكفَّ – ولو جزئيًّا – عن السَّعي نحو إرضاء الذات. فالذات لا تعرف الحبَّ بمعناه الصحيح، فهي تسعى دائمًا لحصد الوهم، وإشباع كلِّ ما هو مائت، وهي تسعى للتخلُّص من مخاوفها وهمومها. ولكنها في سعيها هذا، لا تجد سوى الآخر لكي تُحمِّله مسؤولية مرضها.

والذات تعشق نفسها، ولا تحبُّ سواها هي، وهذه المحبَّة للذات هي بداية كلِّ الآلام والأوجاع. والذات تُزيِّف كلَّ ما حولنا. فالحقيقة تُشوِّهها الذات وتجعل منها شيئًا مؤلمًا، وعلاقاتنا مع ما حولنا تُحوِّلها الذات إلى مجالاتٍ للشهوة والخداع!! وكلُّ هذه الأوجاع تُظلِم عقولنا، وتُفسِد حُكْمنا الصحيح على الأمور، وتمنع عنَّا موهبة التمييز؛ إذ تُفسِّر الكلَّ على أساسٍ مادي، فيصير كلُّ ما حولنا مقبولًا أو غير مقبول، مُريحًا أو غير مُريح، مُرْضيًا أو غير مُرضٍ لنا، وذلك تبعًا لأهوائنا.

---

(١) ترجمة بتصرُّف عن مقال نشره الأب فيليب داوتس Philippe Dautais في مجلة: "Le Chemin" nº 60، تحت عنوان: "L'ardente recherche de la liberté". والأب فيليب هو كاهن أرثوذكسي يتبع كنيسة رومانيا الأرثوذكسيَّة.

لذلك، فالذات أسيرة للأهواء، ومُغلَّفة بخداع المنظور والمحسوس، ليس لها إلَّا ظاهر المعرفة. وهذا ما يؤكِّده **القدِّيس مار إسحق السرياني** قائلًا: "العقل الذي يقع فريسة للمشاعر الجسديَّة لن يُحصِّل إلَّا معرفة عالميَّة، ولن يجني إلَّا الأفكار المريضة". والشهوات أيضًا تعمل على إفساد إدراكنا للواقع من خلال التركيز على وضعيَّة الأمور وشيئيتها فقط (أي اعتبار الأمور والأشخاص أشياء موضوعة للمنفعة الذاتيَّة)، وهذا يجعل الإنسان غير مُدرِكٍ أنَّ حياته هي هِبَة من الله، الأمر الذي يُعطي للمادة قوَّةً إضافية ليست من خصائصها، حتى أنها تصبح بمثابة **"أوثان"** يتعبَّد لها الشخص.

كذلك فالشهوات التي تُصيب النفس تنمو وتتغذَّى على الأفكار والخيالات، سواء التي تفرزها النفس أو تلك التي يقترحها الشيطان عليها. وفي ذلك يقول **القدِّيس دوروثيئوس:** "أولًا تولد الأفكار، وبعد ذلك تظهر الشهوات".

وفي سِفْر التكوين، الأصحاح الثالث، نجد أنَّ أول تجربة كانت هي الشهوة، وهذه التجربة كانت تعتمد أساسًا على الخداع، حيث اعتمد المُجرِّب على تشويه كلام الله. فالشهوة هي تحوُّل عن الطبيعة الأولى. فطبيعة الإنسان الأولى كانت هي الرغبة في الالتصاق بالله، والرغبة في تبادُل الحبِّ معه؛ ولكن الشهوة جاءت لكي تُحوِّل هذه الرغبة المقدَّسة إلى رغبةٍ في تملُّك خيرات هذا العالم، والتكالُب على هذه الخيرات إلى حدِّ العنف والاقتتال.

الشهوات تُزيِّف علاقتنا بالآخر:

كذلك فمحبة الماديات بكافة أنواعها، قد أسقطت الإنسان في ضيقٍ عظيم. وعن هذا يُحدِّثنا **الأب مكسيموس (المعترف)** قائلًا:

[لقد فضَّلنا الأشياء الماديَّة والعالميَّة على وصيَّة المحبَّة، ولأننا ارتبطنا بهذه الأمور فنحن نُحارب إخوتنا باستمرار. لذلك يجب أن يُفضِّل المرء محبَّة أخيه على كلِّ ما هو مادي، حتى على نفسه هو].

فالشهوة الماديَّة تجعلنا ننظر للآخر على أنه مُنافس وخصم، بل وعدو. لذلك فهي آلة خطيرة للتضليل والكذب: للتضليل لأنها تجعلنا نكره بدلًا من أن نحبَّ، والكذب لأنها تُقدِّم لنا الآخر (القريب) على أنه غريب. لذلك فهذه الشهوة تمسخ علاقتنا بالآخر، وتُضلِّلنا بمفهومها الخاطئ عنه. فبسبب الشهوة، أنا أُسقِط عليه ما بداخلي من شهوات، فلا أرى فيه صورته بل

صورتي المُشوَّهة. فأنا الذي أُحدِّد كيف يُفكِّر هو، وأنا الذي أعرف ما يشعر به هو من خلال أفكاري ومشاعري أنا، لذلك فأنا أكرهه، لأنه صار هو صورتي المُشوَّهة. ومن هنا تنشأ الصراعات، إذ الشهوة قد أعمت أعيننا وصمَّت آذاننا، فلم نَعُد نرى أو نسمع الآخر، نحن نجهل الآخر ونحكم عليه، ونحن في قمة تمركُزنا حول ذواتنا.

على أنَّ كلَّ هذه الشهوات لا تُنْتِج إلَّا نفوسًا مُضطربة يحكمها الغضب والعنف، وهنا يقول **القدِّيس يوحنا كليماكوس (الدَّرَجي):** "في قلوب الودعاء يستقرُّ الرب ويستريح، أمَّا النفس المُضطربة فمقرٌّ لإبليس". كذلك يقول **القدِّيس باسيليوس الكبير:** "إن الغضب هو جنون وقتي". وفي حالة مثل هذه، يكون الإنسان برُمَّته في خدمة الشرير. لذلك يقول **القدِّيس ثيئوفان الناسك:** "يأتي العدو ويُعطي للخطإ صورة الحق، ويُضخِّم لنا هذا الحقَّ المُزيَّف، حتى نعتقد بأنَّ هذا العالم سينهار إذا لم نُراعِ هذا الحقَّ (المزعوم)".

إذن، فالغضب هو إظلامٌ للعقل، وهو الدافع الحقيقي للكراهية، هو نتاجٌ للخوف ومصدر كلِّ هوًى رديء. وفي هذا كله يكمُن موتٌ لحريَّة الإنسان.

ويحدثنا **القدِّيس ثيئوفان الناسك** عن أثر ظُلمة العقل على سلوك الإنسان قائلًا:

[لنعرف جيِّدًا كيف يسعى الشيطان لتجربتنا. إنه أولًا يُدخِل الأفكار إلى القلب، ثم ينتظر حتى يبدأ القلب في التعامُل معها، وعلى هذا يبدأ في إحكام تجربته. ولنفترض، على سبيل المثال، أننا نُفكِّر في شخصٍ ما قد أساء إلينا، فإنْ نحن رحَّبنا بالتفكير في هذا الموضوع وامتلأنا بالحقد تجاه الشخص المُسيء، فإنَّ ذلك يعني أنَّ العدوَّ قد اخترق النفس بسيفه وجَرَحَها. وهو في هذه الحالة يقترب ويُثير فيها عاصفة من الغضب والرغبة في الانتقام. ولكن لو كان القلب في حالة استعدادٍ دائم للصَّفْح عن الإساءة، فإنَّ الإنسان سوف يحفظ نفسه من سيف العدو، ويَحْظَى بالسلام تجاه أيِّ شخصٍ. لذلك فليس من المهم أن يقترب المُجرِّب من النفس أم لا؛ وإنما المهم هو عدم التعامُل مع الفكر الرديء، لأن هذا هو طريقنا للتغلُّب على التجارب].

إذن، فالعدوُّ بكلِّ قوَّته لا يستطيع إرغامنا على شيء، لأن التجارب التي نسقط فيها يُلازمها حتمًا حالة من الرِّضا والقبول الداخلي. لذلك فعلى الإنسان أن يُجاهد داخليًّا لكي لا يسقط في التجارب، وهو لن يستطيع ذلك إلاَّ إذا اعترف داخليًّا أنه مُعرَّضٌ للسقوط في أيِّ وقت؛ أمَّا إذا

اتَّكل على قوَّته الذاتيَّة، فسيصير فريسةً للمُجرِّب.

لذلك، فالحريَّة قائمةٌ في شعور الإنسان بضعفه الشخصي، وفي معرفته بنقاط ضعفه، وفي إيمانه بأنَّ التغيُّر (الروحي) ليس أمرًا في أيدينا، ولكنه يأتي من تسليم ذواتنا التي شوَّهتها الخطية في يد الله القادر على التغيير. ولذلك يقول القدِّيس بولس الرسول: «لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ» (٢كو ١٢: ١٠).

التوبة والكمال:

إن عدم الدخول في التجارب هو هدفٌ لا يمكن إدراكه بالإمكانيات البشريَّة وحدها، بل هو هِبَة ودعوة من الله. لذلك نجد أنَّ المسيح يقول: «كُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ» (مت ٥: ٤٨)، وهذه الدعوة تجعلنا نُراجع أنفسنا باستمرار كي نصل إلى الكمال. إلَّا أنَّ هذا الكمال لا يمكن الوصول إليه بعيدًا عن نعمة الله، فالله هو أصل الكمال، وكلُّ كمال لا بُدَّ وأن يكون نابعًا من كماله، وإلَّا لأصبح كمالًا شكليًّا ناقصًا.

وتأتي التوبة لتُمهِّد طريق الكمال، إذ إنها تمحو كلَّ أثر سلبي للخطية على حياتنا، فهي النافذة التي ننطلق منها نحو إقامة علاقة قويَّة مع الله من خلال وعينا الكامل بضعفنا وعجزنا. فقوَّة التوبة هي التي دفعت الابن الضال، بكلِّ إخفاقاته وضعفاته وماضيه السيِّئ، دفعته إلى أبيه، ولكن من خلال علاقة صحيحة. فالابن قد نهض، وتغيَّر ذهنه، وامتلأ بروح الاتضاع؛ والأب جاء وقابله فاتحًا ذراعيه.

والكمال أيضًا هو من اختصاص الله، أمَّا الإنسان فليس عليه إلَّا أنْ يقتني رغبةً حقيقيَّة، وأن يسعى للوصول إلى الكمال. الله، إذن، هو صاحب القدرة على الوصول بالإنسان إلى الكمال: «غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ» (لو ١٨: ٢٧). فالله هو الذي يُقدِّس، والإنسان هو الذي يتقدَّس.

كذلك يمكن النظر إلى الكمال على أنه نزول إلى الاتضاع، فالخطية تأتي من إعلاء الإنسان لذاته، والشفاء منها يأتي بالاتضاع. لذلك فطريق الكمال يلزمه قبولًا للضعف والعجز والإخفاق، ثم التوجُّه بهذا كلِّه إلى الله طلبًا للرحمة. أمَّا الإنسان المُتمركز حول ذاته، الذي ينظر إلى عيوبه ونقائصه ويدين نفسه عليها دون التوجُّه بها نحو الله، فلن يعرف ولن يلمس أبدًا محبَّة الله ورحمته!! لماذا؟ لأنه يريد أن يُخلِّص نفسه بعيدًا عن دم المسيح. وباختصار، فإنَّ مَنْ يجد في

نفسه القدرة على ترميم كسور نفسه، لن يَحْظَى بالسلام الحقيقي.

فيا لها من قوَّةٍ مُحرِّرة، تلك التي نحصل عليها من إدراكنا لضعف إمكانياتنا وفقرنا وعجزنا!!

إنَّ الوصول إلى الحريَّة متاحٌ لأيِّ إنسان، حتى لو كان سائرًا في طريق اليأس، وذلك شريطة توافُر الإيمان، والاستعداد للتخلِّي عن الذات. وهذان الشرطان تؤهِّلهما لنا التوبة. والتوبة، كما قلنا، هي تغيُّر في الذِّهن وامتلاء بروح الاتضاع، وهي أيضًا اتِّساع أُفق، وسِعَة صدر؛ فهي تُمهِّد لحالةٍ روحيةٍ جديدة قوامها الحريَّة الحقيقيَّة. والتوبة، كما يقول الآباء، هي: **"معموديَّة ثانية"**، إذ إنَّ الإنسان يَعْبُر فيها من إرادته الذاتية إلى إرادة الله، من عملي أنا إلى عمله هو فيَّ. وفي ذلك انفتاحٌ على العالم، وقبولٌ للواقع، ورؤية مجد الله فيه.

وآباء القرن الرابع الميلادي في مصر سجَّلوا لنا الكثير عن التوبة، إذ إنهم رأوا فيها حريَّة حقيقيَّة تدفعهم إلى حياةٍ أفضل. فالله يدعو كلَّ واحد منَّا إلى الحياة، فهو قد أتى (إلينا مُتجسِّدًا) وأمات الموت بموته لكي يُحرِّر لنا الحياة، أو كما جاء في سِفْر حزقيال: «لأَنِّي لَا أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا» (حز ١٨: ٣٢).

وحياة الآباء في بريَّة مصر، في القرن الرابع الميلادي، لم يكن هدفها الوصول إلى أنماطٍ مُعيَّنة من الحياة النُّسكيَّة، بل بالحري اقتناء الحريَّة الحقيقيَّة. فالنُّسك عندهم لم يكن مجرَّد إماتات تُخفِّف من سطوة الجسد، بقدر ما كان قبول قوَّةٍ جديدة تُمكِّن الجسد من أن يشترك في عمل النعمة، مثله مثل الروح. كذلك كان النُّسك يهدف إلى إزالة كلِّ ما تراكم على القلب من مُخلَّفات الإنسان العتيق، بما يُمكِّن الإنسان من التأمُّل العميق في ما هيَّة النفس الضعيفة.

وقد ركَّز هؤلاء الآباء أيضًا على **الصلاة والسَّهر** (اليقظة الروحيَّة). ففي الصلاة الحقيقيَّة تنكشف لنا أخطاؤنا وضعفاتنا، والسَّهر يجعلنا مُتيقِّظين ومُحتاطين من هذه الأخطاء لئلَّا نقع فيها مرَّةً أخرى. فالصلاة والسَّهر يقودان الإنسان إلى الحريَّة الحقيقيَّة من خلال عدم الخنوع تحت نِير العجز والضعف، كما يؤهِّلانه لأن يصبح هيكلًا تنعكس منه الصورة الجميلة التي خُلِقنا عليها، ومرآةً للحقائق الأبديَّة فائقة الوصف.

الخير والشرُّ، وإدراك الحقيقة:

الشخص الذي يخضع للشهوات، لا يستطيع أبدًا أن يتأمَّل مجد الله المُخْفَى في الكائنات والأشياء التي من حوله. فالشهوات لا تكفُّ عن ابتداع صور كاذبة داخل النفس، من شأنها تشويه كلِّ ما هو حقٌّ في هذا العالم. والذي يخضع لعبوديَّة الأشياء المحسوسة آخذًا منها أداة لقياس الخير والشر، سوف ينغلق ذهنه وتُظْلِم بصيرته، ويفقد أعزَّ ما لديه وهو **نعمة التمييز.**

فالشهوات تحجب عنا روح التمييز وتقودنا إلى خلطٍ مُميت بين الخير والشر. فكلُّ ما يتعلَّق برغباتنا ولذَّاتنا الشخصيَّة، كلُّ ما هو نافع ومفيد لذواتنا؛ يصبح خيرًا (عندما تنعدم روح التمييز). أمَّا كلُّ ما يُمثِّل بالنسبة لنا خسارة أو حتى عدم قبول فهو الشرُّ بعينه (بحسب الإنسان المُنحجبة عنه روح التمييز).

ومن شأن هذا القياس الخاطئ أن يحجب عنَّا مشيئة الله، إذ إنَّ الإنسان الذي يُفكِّر هكذا، يكون مُسَيَّرًا بشهواته. لذلك نجده دائمًا في تنقُّلٍ ما بين الضِّيق، والرغبة، والكراهية، والانتقام، والكبرياء؛ وهذه كلُّها هي مصدر أيِّ صراع. وذلك على عكس القلب الذي تنقَّى من الأوجاع، فإنه يبحث دائمًا عن يد الله في كلِّ حدث. لذلك فلا سلامَ للقلوب الخاضعة للأوجاع.

الإنسان الجديد هو إنسان الحريَّة:

إنَّ دعوة الله لنا: «يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ» (يو ٣: ٧)، هي دعوةٌ للحريَّة، حيث إنَّ الميلاد الجديد هو طَرْحٌ لنِير هذا العالم وقبولٌ لنِير المسيح الهيِّن. والإنسان الجديد يرى في كلِّ شيء مجالًا لمُمارسة الحريَّة. فهو الإنسان الذي يحبُّ، بغَضِّ النَّظر عن قبول الآخرين لفعل محبَّته؛ وهو الذي يخدم دون انتظارٍ لا لمُكافأة ولا لأيِّ مُقابل.

والإنسان الجديد، الذي على شِبه خالقه، قادرٌ على العطاء المجَّاني الذي يصل إلى درجة التَّضحية بالذات، بل والموت. وعلامة الإنسان الجديد هي الحب، فهو لا يحكم على أحد، ولا يقطع أحدًا؛ إذ إنَّ نظرته فيها انفتاحٌ على سرِّ الآخر. وهو مهيَّأ لنَيْل نعمة الله من خلال الآخر أيًّا كان.

كما إنَّ في نظرته انفتاحًا على غير المرئي من خلال المرئيات، وفيها إدراكٌ للمسيح الذي في الآخر إدراكًا يوازي إدراكه للمسيح الذي بداخله. وكلُّ هذه المعرفة تُحرِّر الإنسان شيئًا فشيئًا.

+ «تَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (يو ٨: ٣٢).

«مَنْ هُوَ قَرِيبِي؟»

(لو ١٠: ٢٩)

● **«... تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (مت ٢٢: ٣٩).**

تمهيد:

حينما سُئِل الربُّ يسوع من الرجل الناموسي، الذي جاء ليُجرِّبه، عمَّا يجب عليه فِعله ليستَحِقَّ أنْ يَرث الحياة الأبديَّة! أجابه الربُّ مُوضِّحًا له أنَّ الأمر جليٌّ وواضحٌ في الناموس الذي تَعلَّمه. فالناموس يُوصي **بمحبَّة الله** من كلِّ القلب، ومن كلِّ النفس، ومن كلِّ الفكر ومن كلِّ القُدرة. ثمَّ أكمل الربُّ يسوع هذه الوصيَّة، بوصيَّة **محبَّة القريب،** قائلًا: **«وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ»** (لو ١٠: ٢٧). كما يكتب لنا القدِّيس متَّى البشير عن ناموسيٍّ آخر، تَقدَّم ليُجرِّب السيِّد، بسؤاله عن الوصيَّة العُظمى في الناموس! فأجابه الربُّ بالقول: إنها **محبَّة الربِّ** من كلِّ القلب والفكر والنفس، فهذه هي الوصيَّة الأولى والعُظمى، ثمَّ أردف الربُّ بقوله: «**وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ".** بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ» (مت ٢٢: ٣٩، ٤٠).

إذن، **فمحبَّة القريب** وصيَّةٌ إلهيَّة عظيمة، لا تَقِلُّ أهميَّة وخطورة عن محبَّة الله ذاته! وإتمام هذه الوصيَّة، هو شهادة وبُرهان على صِدق حِفظنا للوصيَّة الأولى، أي **محبَّة الله.** وحينما نُطبِّقها، تُنير لنا كلمات الروح، التي أرسلها لنا بِيَد يوحنا الرسول؛ إذ يكتب: «إِنْ قَالَ أَحَدٌ: "إِنِّي أُحِبُّ اللهَ" وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لَا يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟» (١يو ٤: ٢٠)! لذلك صار مِنَ المُهم لنا أن نَتمسَّك بهذه الوصيَّة الإلهيَّة، ونسعى حتى نعيشها ونُطبِّقها في حياتنا، لكي نقدر أن نُبرْهِن على أمانة محبَّتنا لله الذي لا ننظره، من خلال مُمارستنا لمحبَّة قريبنا الذي ننظره. وأكثر من ذلك، فإنَّ محبَّة القريب هي التي تُمَكِّنُنا من العبور من هُوَّة الموت إلى نور الحياة ومجدِها؛ وذلك بحسب ما يكتب يوحنا الرسول بالروح: «نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ،

لأَنَّنَا نُحِبُّ الإِخْوَةَ. مَنْ لَا يَحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِي الْمَوْتِ» (١يو ٣: ١٤). فمحبَّة الله ومحبَّة القريب هما **كجناحَيّ النسر** في الحياة المسيحيَّة، وهما وحدهما القادران معًا – إنْ أكملناهما بأمانة – على رفعنا وحملنا للانطلاق نحو الملكوت والحياة مع الله، ولا يمكن لأحدهما وَحْدَه أن يُحقِّق لنا ذلك، فهما وجهان مُتلازمان لوصِيَّةٍ واحدة. فتُرى ما الذي يَقصده الربُّ يسوع من تعبيره: "**قَرِيبك**"؟ ومَن هو هذا **القَريب** الذي يعنيه الربُّ؟

مَنْ هو قريبي؟

في مَثَل السامري الصالح – بعد ما أجاب السيِّد على سؤال الناموسي، عن وصيَّة الله العُظمى – بادره الرجل بقوله: **«وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟»** (لو ١٠: ٢٩). حينئذٍ سَرَدَ عليه الربُّ مَثَل السامري، وكَشَفَ قدَّامه سلوك الكاهن الذي أغْفَل عمل الرحمة، وفَضَّلَ أنْ يذهب إلى الهيكل ليُقدِّم ذبيحته، عن أن يَعمل رحمةً، ويُظهِر المحبَّة اللائقة بخادم الله، الذي يوصيه بأنَّ الرحمة خيرٌ مِن تقديم ذبيحة (انظر: هو ٦: ٦)! وأيضًا عَرَض أمامه سلوك اللاوي الذي لم يَعمل بتعاليم الكُتُب المقدَّسة التي يُعلِّم بها، وتوصيه بالقول: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (مت ٢٢: ٣٩). ثمَّ أخيرًا، قصَّ عليه ما صَنَعه السامري غريب الجِنس، الذي بعَمَلِه الرحمة، قد أدَانَ الكاهن واللاوي على قساوة قلبيهما، ورياء حياتهما، وعدم إدراكهما لوصيَّة الرحمة والمحبَّة، التي بدونهما لن يَجدا قبولًا أمام الله: «لأَنَّ الْحُكْمَ هُوَ بِلاَ رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً، وَالرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ» (يع ٢: ١٣). وفي نهاية المَثَل ردَّ الربُّ على تساؤل الناموسي بسؤاله: «فَأَيَّ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ» (لو ١٠: ٣٦)؟

فالربُّ، إذن، أراد أنْ يدفع الناموسي لإخراج شهادة الإيمان والحقِّ من داخله، حتى يُصدِّقها ويَلتزم بها؛ ومن ثمَّ، يَسلك وِفْقَ ما أدْرَكته نفسه مِن حقٍّ زَرَعه الله بروحه داخل نفسه، لأنَّ الروح نفسه يَشهد داخلنا بالحقِّ الذي أعطانا إيَّاه.

القريب، إذن، هو كلُّ إنسانٍ وَضعه الربُّ في طريق حياتك، أو تراه وتُقابله في كلِّ يوم، سواء في بيتك أو عملك أو محل دراستك، أو في أيِّ مكانٍ آخر. وأنت بمحبَّتِك للجميع، واقترابك منهم لخدمتهم والسؤال عنهم، وسعيك لعمل الرحمة مع أيٍّ منهم؛ تجعلهم أقارب لك. وبِعملك الرحمة معهم – بأيَّة صورة – تكون قد أكمَلتَ وصيَّة سيِّدك: **«تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ»** (مت ٢٢: ٣٩). وحينئذٍ، ستَجِد رحمة لديه، عِوَض ما صنعته. كذلك فإنَّ المحبَّة والرحمة تفترضان مِنَّا المُتابعة والمُداومة، كما صَنَع السامري الصالح، حتى يُمكن أنْ

تكون تَقدِمة الرحمة التي نُقدِّمها كاملةً ومَرضيَّةً أمام الله.

مقاييس ومعايير تحديد مفهوم القريب (عند الناس وعند الله):

أولًا: مقاييس القريب عند الناس: (خاصة اليهود):

١ – **رباط الدم والنَّسَب: ما بين** أبناء إبراهيم والسامريين (غير اليهود):

يَفتخر اليهود دائمًا بقولهم إنَّهم أبناء إبراهيم: **«لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا»**، وهذا القول رَدَّ به اليهود على الربِّ يسوع، حينما كلَّمهم عن الحريَّة المُزمع أنْ يُعطيها الابن لهم، ليُخلِّصهم من نِير العبودية للشيطان والخطيَّة والعالم. حينئذٍ احتَجُّوا عليه بقولهم: "إنَّهم أحرار، إذ هُم أبناء إبراهيم الحُرِّ". وصار الافتخار بانتسابهم لإبراهيم **حسب الجَسد**، هو مَدعاة فخرهم وتَعظُّمهم وكبريائهم على الآخرين. مع إنَّ الربَّ قد أوضَح لهم مِرارًا كثيرة أنَّ البُنوَّة لإبراهيم هي في التَّمَثُّل بإيمانه وأعماله، كقول السيِّد لهم: «لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ **أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ!**» (يو ٨: ٣٩). كذلك حَذَّرهم الربُّ أيضًا، على فم يوحنا المعمدان، من خطورة افتخارهم بالبنوَّة الجَسديَّة لإبراهيم، إذ قال لهم: «إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَدًا لإِبْرَاهِيمَ» (مت ٣: ٩). لذلك، وبسبب افتخارهم بقرابتهم **ونَسَبهم الجَسدي لإبراهيم**، وقد صار هو مُتَّكَلهم، عِوَضًا عن الافتخار بالربِّ؛ فقد سقطوا مِن النِّعمة، وتَخلَّت عنهم المعونة الإلهيَّة، فَتَشَتَّتوا بين الأُمم، وصاروا مَثَلًا بينهم.

كما كان من مظاهر كبرياء اليهود وتَعظُّمِهم على الآخرين، بداعي النَّسَب والقرابة لإبراهيم، احتقارهم للسامريِّين. فقد تَهجَّموا مرَّةً على الربِّ يسوع قائلين: «أَلَسْنَا نَقُولُ حَسَنًا: **إِنَّكَ سَامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْطَانٌ؟**» (يو ٨: ٤٨)؟ وذلك تَحقيرًا للسامريِّين ومكانتهم لدى الله. من أجل هذا، قدَّم الربُّ مَثَل السامري، لَعلَّهم يُدركون عِظَم خطئِهم، ويَعدِلون عن كبريائهم بالاتضاع أمام الله.

وفي مرَّةٍ أخرى، حدَّثهم الربُّ يسوع عن الرجال البُرْص العَشرة الذين شفاهم، إذ لم يَرجع منهم إلَّا واحدٌ لكي يَشكر الربَّ، وهو **رجلٌ سامريٌّ**! فقال لهم الربُّ مُبَكِّتًا ومُعاتبًا: «أَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَرْجِعُ لِيُعْطِيَ مَجْدًا للهِ غَيْرُ هذَا الْغَرِيبِ الْجِنْسِ؟» (لو ١٧: ١٨)؛ مُظهِرًا لهم مقدار جُحودهم، وهم الذين يَحسِبون أنفسهم أنَّهم وحدهم بنو الملكوت، وليس سواهم مقبولًا عند الربِّ؛ بينما الروح يَشهد بفم بولس الرسول بالقول: «لِيَكُونَ قُرْبَانُ الأُمَمِ مَقْبُولًا» (رو ١٥: ١٦).

٢ – رباط العقيدة والإيمان: ما بين المؤمنين والأُمم:

إنَّ أحد أهم المشاكل التي تواجه الإنسان، هي إحساسه بالتَّميُّز والأفضليَّة عن الآخرين الذين يَختلفون معه في معتقداته أو في إيمانه، ممَّا يزيد مِن إحساسه بالغُربة والرغبة في الانفصال عنهم، ويُولِّد لديه مشاعر التَّعالي والعَظمة والتَّكبُّر عليهم؛ وذلك باعتبارهم أقوامًا أقلّ قَدرًا، وأحقر مَنزِلةً منه، وهم غير جديرين لِمَا هو فيه من نعمةٍ وكرامة. وهذا الإحساس هو الذي غلب على مشاعر الشعب اليهودي في مرحلةٍ ما، فَظنُّوا أنَّ محبَّة الله لهم، واختيارهم ليكونوا هم نواة بذرة الإيمان والشهادة لمجده في العالم؛ تَجعلهم في مَرتبة أفضل من باقي الشعوب والأُمم أمامه في السماء. وتَفكَّروا واهمين، إنَّ كلَّ مَن هم غير إسرائيليين أو يهود مثلهم، مرذولون ومُحتَقرون أمام الله، حتى إنَّهم كانوا يُطلِقون على الأُمم تعبير: **"الكلاب"!** وكان هذا هو تَفسيرهم السَّقيم لقصد الله من تعبير **"قريبي"**، وفهمهم الخاطيء له، وربطه بضرورة أن يكون **القريب شريكًا في العقيدة أو الإيمان فقط**؛ ممَّا يُنكر على الأُمم نَصيبهم في الخلاص الذي أكمله المسيح، ويَحرمهم من حقِّ الانتساب لله بدَمِ ابنه يسوع، ويَجعلهم أعداء وغرباء عن الشَّركة في الجَسد الواحد، عِوَضًا عن كَونهم إخوة وأعضاء في هذا الجسد السرِّي.

وكلُّ مَن يَظنُّ أنَّه بإمكانه – مِن أجل نَسَبه أو مُعتقده أو قدرته أو معرفته أو ثقافته، أو حتى خدمته الكَنَسيَّة – أنَّه سيكون أقرب إلى الله وأفضل من غيره، مثل الفرِّيسي المُتكبِّر؛ فهو مُخطئ وواهم، لأنَّ الله يَنظر إلى القلب، وليس عنده مُحاباة، وهو إله الجميع بلا تمييز، وقد قَبِل الكل، ولم يَستَحِ أنْ يَدعو "كلَّ البَشر" إخوة له، هذا من جهة: (انظر: عب ٢: ١١).

ومن جهةٍ أخرى، يَشهد بولس الرسول عن شركة الأُمم في الميراث، حيث يَكتب بالروح: «... أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ» (أف ٣: ٦)، وشهد الرُّسُل أيضًا وأقَرُّوا: «أَنَّ الأُمَمَ أَيْضًا قَبِلُوا كَلِمَةَ اللهِ» (أع ١١: ١)، وكذلك يهتف بولس الرسول بالروح بالقول: «فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ أَنَّ خَلاَصَ اللهِ قَدْ أُرْسِلَ إِلَى الأُمَمِ، وَهُمْ سَيَسْمَعُونَ!» (أع ٢٨: ٢٨).

وأخيرًا، يُعلن بطرس الرسول أمام كرنيليوس: «بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ الْوُجُوهَ. بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ» (أع ١٠: ٣٤، ٣٥).

٣ – ميول الاختيار والتمييز: ما بين المُقَرَّبين، والأعداء:

كان الناموس في البداية حريصًا على حماية بذرة الإيمان المُباركة، التي زَرعها قديمًا، باختيار الله شعب إسرائيل، لتَتَقدَّس به باقي شعوب الأرض، وكان يَدعوهم أحبَّاءه وخاصَّته، وحذَّرهم من الاختلاط بغيرهم، باعتبار أنَّ ذلك الأمر خطرٌ علي بذرة إيمانهم الصغيرة والضعيفة وحماية لها، حتى تنمو وتَقْوَى على مواجهة الأخطار؛ ولكن كبرياء إسرائيل وتماديه في إحساس التَّميُّز والأفضليَّة على شعوب الأرض، جعله يَتلقَّى رسالة الحُبِّ المُعطاة له من الله بصورةٍ خاطئة، إذ حوَّر مقاصد الربِّ مِن غرض حمايتهم من أخطار جهالة عدم الإيمان والوثنيَّة المنتشرة في العالم، والمُتَمَثِّلة في روح الشرِّ والخطيَّة وعدم معرفة الله، التي مَنبعُها هو الشيطان، العدوُّ الحقيقي للبَشر؛ إلى أنْ وصلوا إلى حدِّ اعتبار كلِّ مَن حولهم أعداء وغرباء، وغير مُستحقِّين الرحمة والمحبَّة من الله أو منهم! واختَصُّوا أنفسهم وَحْدَهم بمحبَّة الله، وصار الجميع (ما عداهم) أعداءً، وعاملوهم حسب القول: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ» (مت ٥: ٤٣)، وقَصَروا محبَّتهم على أقرباء الجَسد، وربَّما ليس كلُّهم؛ بل مَن يَرتبطون معهم بعلاقات مَصلَحة أو مكاسب أو منفعة أو خلافه. وهم في ذلك بعيدون كلَّ البُعد عن روح الوصيَّة. وهكذا صار لهم مَن **يُحبُّونه أو يَرتبطون معه بمَصلَحة هو القريب لهم**، وما عدا هؤلاء **فالجميع أعداء!** مع إنَّ الربَّ يسوع قد أوصانا بمحبَّة الجميع، وبالأكثر محبَّة الأعداء: «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ ...» (مت ٥: ٤٤).

ثانيًا: مقاييس القريب عند الله:

١ - الذي يَعمل الرَّحْمَة: لقد عَظَّم الربُّ الرحمةَ جدًّا، ورَفَعَ فاعليها إلى مَرتبةٍ عالية، فقال عنهم: «أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً» (هو ٦: ٦). والرجل الناموسي بعد ما سمع المَثَل من الربِّ يسوع عن السامري، وما عمله من رحمة؛ شَهِد بأنَّ **القريب** هو مَن **صَنع الرحمة** للجريح المُصاب، بالرغم أنَّه لم يَكن من جنسه. فالرحمة دائمًا **«تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ»** (يع ٢: ١٣)، والسيِّد طالَبنا بها بقوله: «طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ» (مت ٥: ٧)، وأيضًا: «مَعَ الرَّحِيمِ تَكُونُ رَحِيمًا» (٢صم ٢٢: ٢٦). وقد رأينا أنَّ الأُمم مجَّدوا الله من أجل رحمته. لذلك صار **كلُّ مَن يَعمل الرحمة، هو في حُكم القريب** لنا أمام الله.

٢ - القريب هو مَن يَصنع إرادة الآب السماوي: حينما أتَتْ مريم أُمُّ يسوع مع إخوته وأقربائه الجَسَديين يَطلبونه من وسط الجموع: «فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا: "مَنْ أُمِّي وَإِخْوَتِي؟" ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى الْجَالِسِينَ وَقَالَ: "هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي، لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي"»

(مر ٣: ٣٣ – ٣٥). إذن، فليست صِلة الرَّحِم ورباطات الجَسد أو الجِنس هي فقط مَن تَقتصر على صفة القُرْبَى؛ بل إنَّ **قريبي هو كلُّ إنسان في العالم يعمل مشيئة الله**.

٣ – كلُّ مَنْ فَداهم المسيح: (كلُّ إنسان في العالم قَبِل المسيح ربًّا ومُخلِّصًا): قال القدِّيس بطرس الرسول في مَعرِض حديثه بالروح في بيت كرنيليوس: «وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللهُ أَنْ لَا أَقُولَ عَنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ» (أع ١٠: ٢٨).

فقد تعلَّم الرسول، وتعلَّمنا معه، أنَّ الخلاص المُعطَى من الله هو للجميع، وليس هناك فرقٌ بين يهودي ويوناني، عبد وحُرّ، ولا أي قياس أو مانع آخر؛ لأنَّ الجميع إخوة، وقد تشاركوا في اللحم والدم اللذين اشترك الربُّ أيضًا فيهما (عب ٢: ١٤)، والذي لم يَستَحِ أن يَدعونا إخوة له: **«فَلِهذَا السَّبَبِ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً»** (عب ٢: ١١)؛ وذلك لكي يُعلِّمنا أنَّ **القرابة بيننا هي بدَم المسيح وحده**، الذي سفكه لأجل خلاص الجميع.

لذلك فإنَّ **قَرابة الجسد ليست بشئ**، ولا قَرابة العقيدة أو الجنس أو النَّسَب أو غيرها بشئ أيضًا، لأنَّ المسيح قد صُلِبَ ومات لأجلنا جميعًا: وأمَّا «مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ» (١كو ١: ٣١).

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: الراهب ناحوم المقاري**

مفاهيم إيمانيَّة

[ويحتوي الكتاب على: مفهوم السرِّ الكنسي والأسرار الكنسيَّة في الإيمان المسيحي وحياة الكنيسة – المعجزات والآيات في إيماننا المسيحي – النعمة في المفهوم المسيحي – النبوَّة في العهد الجديد – الدعوة والاختيار في الكتاب المقدَّس].

والكتاب ١٠٠ صفحة (من القَطْع المتوسِّط)

****

دراسات كتابيَّة

"السَّالِكونَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ"

(رو ٨: ٤)

(١)

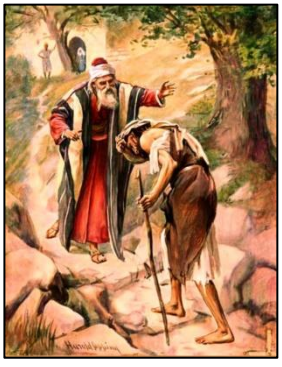

في مَعرض حديثنا السابق عن قول بولس الرسول: «دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (رو ٨: ٣)، الذي نُشِر في عددَي (فبراير ٢٠٢٥ – ص ٤٢؛ ومارس ٢٠٢٥ – ص ٣٠)، قدَّمنا مُوجَزًا متواضعًا لأركان الإيمان المسيحيّ وأُسس البشارة بالفداء والكفَّارة والغفران والتبرير، كما قدَّمه بولس الرسول في الأصحاحات الأولى من رسالته إلى رومية. فرأينا كيف رَسَمَ لنا صُورةَ الإنسان قبل المسيح، بل وقبل الناموس، وكيف أنَّه لم يسمع لا لصوت الضمير المغروس في أعماقه، ولا حتَّى لصوت الناموس المكتوب بإصبع الله نفسه، فراح يَهوِي من خطيةٍ إلى أخرى، ومن تعدٍّ إلى آخر، لا يَرُدُّهُ نُصْحٌ ولا يَرْدَعُه ترهيب.

غَير أنَّ نورًا ساطعًا لاح في نهاية هذا النَّفق المُظلم: نورَ المسيح «الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ، وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ» (رو ١: ٣). وهكذا عِوَضًا عن البشريَّة العتيقة الخاطئة المائتة التي لآدم الأوَّل، دَشَّنَ المسيحُ، آدمُ الثاني، بدءًا مجيدًا لبشريَّةٍ جديدةٍ مُبرَّرة قد وُهِبَت الحياة الأبديَّة.

المسيح المُقام باكورة الخليقة الجديدة:

هذا التبرير مُقَدَّمٌ مجَّانًا لكلِّ مَن يؤمن (٥: ١). يؤمن بماذا؟ يؤمن بيسوع المسيح (٣: ٢٢، ٢٦)، وبدمه (٣: ٢٥)، وبقيامته (٤: ٢٤؛ ١٠: ٩)، وبقدرته على تبرير الفاجر (٤: ٥)، هذا هو «نَامُوسُ الإِيمَانِ» (٣: ٢٧). هذا الإيمان يُختَم بالمعمودية، ثمَّ يُمتحن ويتزكَّى ويُصقَل وينمو بالسُّلوك والحياة. ولقد أشرنا في المقال السابق أنَّ مصدر الحياة المقدَّسة التي ينبغي أن نحياها نحن المؤمنين هو قيامة المسيح، أو بالأحرى **المسيح المُقام** من بين الأموات، وبهذا يتغنَّى بطرس الرسول قائلًا: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي

حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ **بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ** مِنَ الأَمْوَاتِ» (١بط ١: ٣). فكما إنَّه بصليب المسيح قد صُلب إنسانُنا العتيق (رو ٦: ٦)، فحُسِبْنا أمواتًا عن الخطيَّة (٦: ١١)؛ كذلك على غِرار المسيح القائم من بين الأموات، ينبغي لنا أن نسلك في جِدَّة الحياة (٦: ٥)، كأحياءٍ من بين الأموات (٦: ١٣).

هذه الحياة الجديدة، التي نَفَضَت عنها تراب الخطية واكتسَت ببرِّ المسيح وقداسته، كرَّس لها بولس الرسول أصحاحًا كاملًا تقريبًا (رو ٨)، تتويجًا لكلِّ ما عَرَضَه على مدى الأصحاحات السابقة. فإذا اعتبرنا أنَّ (رو ١–٧) هو شرحٌ لاهوتيٌّ للفداء الذي تمَّ بصليب المسيح وقيامته، ثمَّ دعوةٌ للإيمان بهذا الفداء، فإنَّ (رو ٨) هو ثمرة هذا الإيمان، وبرهانٌ على صِدْقِهِ، بل ومِفتاحٌ للارتقاء به نحو ذُرًى أعلى وأسمى.

الروح القدس واهب الحياة للخليقة الجديدة:

بَيْدَ أنَّ أكثر ما يجذب انتباهنا في هذا الأصحاح، هو بلا شكٍّ مكان الصدارة الذي يُعطيه الرسول **للروح القدس**[(١)]. فالحياة الجديدة يَحْكُمُها «نَامُوسُ **رُوحِ الْحَيَاةِ**» (٨: ١)، والذين يعيشون بمقتضاها هم «السَّالِكُونَ **بِحَسَبِ الرُّوحِ**» (٨: ٤)، أو ببساطة «الَّذِينَ هُمْ **حَسَبَ الرُّوحِ**» (٨: ٥)، أو «الَّذِينَ **فِي الرُّوحِ**» (٨: ٩)، أي الذين **يسكن فيهم الرُّوح** (٨: ٩، ١١)، الَّذين «**بِالرُّوحِ** يُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ» (٨: ١٢). لذلك سوف يقتصر حديثُنا على الرُّوح القدس ودوره في حياتنا الجديدة، وهذا لا يتعارض بأيِّ حالٍ من الأحوال مع ما أوردناه سابقًا أنَّ المسيح المُقام من بين الأموات هو مصدر الحياة الجديدة. أوَّلًا، على المستوى السرائريِّ، لا ننسَ أنَّ المعموديَّة – وهي خَتم إيماننا ومناسبة شَرِكَتنا السريَّة مع المسيح في موته وقيامته – ما هي إلَّا ميلادٌ من الماء والروح القدس، حيث يخرج المُعَمَّد من جرن المعمودية وقد أصبح هيكلًا لله ومسكِنًا للرُّوح القدس. أمَّا على المستوى اللَّاهوتيِّ، فحلول الروح القدس في الإنسان هو ثمرة القيامة، كما إنَّ عمل الروح القدس الأساسيّ هو "أنْ يُعطينا برَّ المسيح وثمرةَ موتِه وقيامته"[(٢)]. فإذا كان المسيح القائم من الموت قد خَلَقَ الإنسان الجديد في نفسه، فالروح القدس هو

(١) بينما وردت كلمة "روح (πνεῦμα)" ٥ مرات فقط في رو ١–٧، و٨ مرات فقط في رو ٩–١٦، فقد وردت ٢١ مرة في رو ٨ فقط، أكثر من أيِّ أصحاح آخر في كلِّ العهد الجديد. في موضعين فقط من الأصحاح (٨: ١٥أ، ١٦ب) تعود الكلمة بالتأكيد على روح الإنسان؛ أمَّا في بقية المواضع، فهي تعود – بحسب معظم الشُّرَّاح والمُفسِّرين – على الروح القدس.

(٢) انظر: الأب متى المسكين، "القيامة والصعود"، ٢٠٠٠، ص ٢٣.

المنوط به تغيير وتجديد هذا الإنسان كلَّ يوم بنعمته[٣].

السُّلوك حَسَبَ الروح (Περιπατεῖν κατὰ πνεῦμα)
ليس حسب الجسد بل حسب الروح:

نُلاحظ أنَّ الرَّسول لم يُشِرْ ببساطة إلى مجرَّد السُّلوك حسب **الرُّوح**، بل كان دائمًا يُقرِنه **بعدم** السلوك حسب **الجسد.** فتارةً نجده ينفي السُّلوك حسب الجسد: «نَحْنُ السَّالِكِينَ، **لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ**، بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ ... » (٨: ٤)، وتارةً أخرى يوضِّح **المُفارقة والتَّضادَّ** بين الاثنين: «الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَبِمَا لِلْجَسَدِ يَهْتَمُّونَ، **وَلَكِنَّ** (δέ) الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الرُّوحِ فَبِمَا لِلرُّوحِ. لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، **وَلَكِنَّ** (δέ) اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ ... **أَمَّا** (δέ) أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ، بَلْ فِي الرُّوحِ ... وإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ، فالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيَّةِ، **أَمَّا** (δέ) الرُّوحُ فَحَيَاةٌ بِسَبَبِ الْبِرِّ» (٨: ٥، ٦، ٩، ١٠). هذا يُبرِز بوضوح طبيعة الصِّراع الموضوع أمام الإنسان الجديد، فطالما هو في هذا العالم، «فَالْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ» (غل ٥: ١٧).

هنا يأتي دور إرادة الإنسان الحُرَّة التي لا يمكن الاستغناء عنها والتي طالما شدَّد عليها الآباء القدِّيسون. ما المنطق وراء الدينونة الأخيرة إلَّا محاسبة كلِّ إنسانٍ على ما اختاره بإرادته الحُرَّة في هذه الحياة؟ بل ما هو الغرض من جميع الأسفار المقدَّسة بكلِّ ما تحويه من وصايا وتحذيراتٍ ونواهٍ، إلَّا تحفيز الإنسان أن يختار بمحض إرادته الصَّلاح ويتجنَّب المَيْلَ إلى أيِّ شَرٍّ؟ لقد صنع الله الخلاص العظيم للجميع في ابنه الوحيد، وأرسل للجميع روحه القدُّوس مُعينًا لا يُبارَى، فما الذي يجعل البعض من الخراف التي على يمينه، والبعض الآخر من الجداء التي على يساره، إلَّا الإرادة الحُرَّة لكلِّ إنسان؟

غَير أنَّ هذه الإرادة الحُرَّة للإنسان المسيحيّ لا يُختزَل عملُها فقط في اختيار عمل الخير أو اقتراف الشَّرّ، بل إنَّ عملها الأهمَّ والأخطر يكمُن في خطوةٍ غاية في الخطورة تسبق ذلك، ألَا وهي **طاعة أو تجاهُل صوت الروح القدس في الدَّاخل**[٤]. هذا هو البُعد الأرقى والأسمى والأعمق

---

(٣) انظر: شرحه، ص٧٩، ١٠٦، ١١٢.

(٤) للاستزادة من هذا الموضوع، نُحيل القارئ إلى عظةٍ مسموعة من عظات أبينا الرُّوحي القمص متَّى المسكين، بعنوان "اختيار الله وتقديس الإنسان"، أُلقِيت على الرُّهبان ١٩٨٤/١٠/١١، فيها ينصبُّ معظم حديثه على "طاعة الروح القدس"، مُستشهدًا بقول بطرس الرسول: «كَأَوْلاَدِ الطَّاعَةِ، لاَ تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمُ السَّابِقَةَ فِي جَهَالَتِكُمْ، بَلْ نَظِيرَ

لسُلوك الإنسان **"حسب الرُّوح"**: ليس مُجرَّد صُنعِهِ أعمالًا صالحةً ظاهرةً – فهذه يمكن أن يَشُوبَها الرياء والمجد الباطل – بل بالضرورة مَوْقِفُهُ تُجاهَ صَوتِ الرُّوح القدس في داخله: هل يَتْبَعُهُ أم لا يَأْبَهُ له؟ أمَّا عن صوت الروح القدس، فيمكن تمييز ثلاثة أنواع من الرسائل يُرسلها إلينا في هذه الحياة، ونرتِّبها هنا ترتيبًا تنازليًّا من الأكثر إيجابيَّة إلى الأقلّ: (١) "اختر الحياة!"؛ (٢) "احذر الموت!"؛ (٣) "عُدْ إلى الحياة!".

(١) "اختر الحياة!":

هنا الرُّوح القدس يَحُضُّ الإنسان على العمل الصالح، ويستحثُّه ليصنع كلَّ ما من شأنه أن يقدِّسَه، فيهمس إليه أن يرفع قلبه إلى السماء، أن يشكر الله الآب، أن يذكر اسم يسوع المسيح، أن يصلِّي من أجل إخوته ومن أجل العالم، بل ومن أجل أعدائه، أن يخدم المرضى، أن يُعطي المحتاجين ... وبالإجمال كلُّ عملٍ صالحٍ هو من إيحاء الرُّوح القدس، لأنَّه "كَنز الصَّالحات". إنَّه يفعل بالضبط ما سبق وأنبأ به المسيح: «وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، **فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُم**» (يو ١٤: ٢٦). فهو يُذَكِّر الإنسان بكلِّ ما كُتِبَ في الأسفار المقدَّسة، ويُسْدي له النصائح في موعدها تمامًا، فيا لَسعادةَ الإنسان إنْ سَمِع له! ويا لَها فرصةً ضائعةً إن لم ينتبه! وهو يعمل هذا منذ البدء، فيكشف للإنسان ما يُسِرُّ الله، ويُشجِّعه على عمله.

منذ أن بدأ يصنع الإنسان ما يُرضي الله، كان الروح القدس هو سِرَّ هذا الصَّلاح. فمنذ أنْ هَمَسَ قديمًا لهابيل بأن يُقدِّم «مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا» (تك ٤: ٤)، وهو لا يَكُفُّ من أنْ يوحي ويُلهم ويشجِّع كلَّ إنسانٍ ليعمل كلَّ ما يُرضي الله. أمَّا مَنْ أطاع صوته، فقد ظَفِرَ باستحسان الله، ونال حظوةً ودالَّة وكرامة لدي العليِّ؛ وأمَّا مَن لم يُطِع، فقد فَوَّت على نفسِه فرصةً ذهبيَّة «لِيَتَغَيَّرَ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ» (٢كو ٣: ١٨)[٥]. وإنْ كان الروح القدس يعمل هكذا منذ القديم، فكم بالحريِّ في عهد النعمة وزمن ما بعد

الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ» (١بط ١: ١٤، ١٥)، حيث يُفسِّر الطاعة هنا أنَّها طاعة لصوت الروح القدس داخل القلب. للاستماع إلى هذه العظة على شبكة الإنترنت:

https://www.youtube.com/watch?v=p54sD–KdcVQ.

(٥) الفعل الوارد في هذه الآية للتعبير عن نُمُوِّ الإنسان أكثر فأكثر ليكون على صورة مجد الربِّ، والذي تُرجم "يَتَغَيَّر"، هو "μεταμορφοῦν"، وهو نفس الفعل الذي استخدمه البشيران متَّى ومرقس لوصف تَغَيُّر هيئة المسيح على الجبل. وقد ورد الفعل ٤ مرات فقط في الكتاب المقدس: مرتان لوصف تَغَيُّر هيئة المسيح على الجبل (مت ١٧: ٢؛ مر ٩: ٢)، ومرتان لوصف تَغَيُّر المسيحيين ليكونوا على صورته (رو ١٢: ٢؛ ٢كو ٣: ١٨)، وهو ما يعني أنَّ المسيح ليس فقط هو

المسيح: "إنْ كانَ في عهد الظِّلِّ قد انسكب الرُّوح القدس بهذا المقدار؛ فكم بالحريِّ في العهد الجديد، عهد الصليب ومجيء المسيح، حيث تحقَّق انسكاب الرُّوح القدس والسُّكْرُ به، لأنَّه يقول: «سَأَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ جَسَدٍ» (يوء ٣: ١؛ أع ٢: ١٧)"[٦].

وهكذا فإنَّنا نرى بالفعل عجائب وعظائم يصنعها الإنسان الجديد في المسيح يسوع، وذلك بفضل إنصاته وطاعته للروح القدس. فعلى سبيل المثال، وعَقِبَ واحدةٍ من أهمِّ لحظات تاريخ البشريَّة، حيث حلَّ الروح القدس على القدِّيسة مريم ليتجسَّد منه ومنها اللهُ الكلمة، نراها وقد أَرْهَفَت سَمْعَها وأطاعت همسات الرُّوح القدس، «رُوحِ الإِيْمَانِ» (٢كو ٤: ١٣)، فلم تكتفِ بقَولتها الخالدة: «هُوَ ذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ» (لو ١: ٣٨)، بل استمرَّت في إطاعة إيحاءات الرُّوح القدس بدون تسويف ولا مُماطلة، «وَذَهَبَتْ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْجِبَالِ إِلَى مَدِينَةِ يَهُوذَا» (لو ١: ٣٩)، لكي تخدم نسيبتها العجوز أليصابات. هذا هو "السُّلوك بالروح"، أن **نطيع ما يُمليه علينا الروح القدس** من أعمالٍ مقدَّسة. وهكذا نَسَج على منوال العذراء جميعُ القدِّيسين، فكلُّ المآثر التي نسمعها عن الأبرار ما هي إلَّا ثمرة عمل الروح القدس في داخلهم.

قبل أن نختم هذا الجزء، يلزمنا أن نتذكَّر أمرَين أساسِيَّيْن: أوَّلهما، ما هو جوهر عمل الرُّوح القدس فينا؟ والثاني، ما هو أهمُّ أعماله على الإطلاق؟ أمَّا عن جوهر عمل الرُّوح القدس في قلوبنا، فهو أن **يُصَوِّر فينا المسيح القائم من بين الأموات**، بِكْر الخليقة الجديدة. هذا هو السِّرُّ الوحيد وراء القداسة، كما يوضِّح الأب متَّى المسكين، قائلًا: "قداسة القدِّيس ليست في أصلها إلَّا موت المسيح وقيامته، ينقلها الرُّوح القدس من طبيعة المسيح ويغرسها في طبيعتنا أوَّلًا بأوَّل، في سرٍّ لا يُنطَق به"[٧]. أمَّا عن أهمِّ أعمال الروح القدس في داخلنا، فهي بلا جدال **سَكْبُهُ لمحبة الله في داخلنا**: «لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا» (رو ٥: ٥). أسرار هذه المحبة الإلهيَّة تملأنا بفرحٍ سماويٍّ ليلًا ونهارًا، ولا يمكن أن يُعَبَّر عنها، كما يقول أنبا أنطونيوس: "ذلك الرُّوح الناري العظيم، هذا

الهدف والغاية التي ينبغي لنا أن نتمثَّل بها ونرنو إليها، بل أيضًا هو الطريق والوسيلة التي بواسطتها نبلغ هذه الغاية، فهو "الحياة"، وهو أيضًا "الطريق" (يو ١٤: ٦). وكلُّ هذا التغيير، أو بالأحرى التَّجلِّي، الذي نحن مدعوُّون إليه يتمُّ بقوَّة الروح القدس وعمله: «كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ».

(٦) الأنبا مقار الكبير، "العظات الخمسون"، العظة ٥٠: ٤.

(٧) الأب متَّى المسكين، "الروح القدس الرب المُحيي" – ج ٢، ١٩٨١، ص ٦١٢.

الذي قبلتُه أنا، اقبلوه أنتم أيضًا ... اُطلبوا باستقامة قلبٍ هذا الرُّوح الناري ... أديموا الطِّلبة باجتهادٍ من كلِّ قلوبكم، فيُعطَى لكم ... وإذا قبلتموه، فإنَّه يكشف لكم الأسرار العلويَّة، وأشياء أخرى لا أستطيع أن أُعَبِّر عنها في قرطاس بقلمٍ ومِدادٍ ... ويكون لكم فرحٌ سماويٌّ ليلًا ونهارًا، وتكونون وأنتم في هذا الجسد كمَنْ هو في الملكوت"[٨]. هذا هو أعظم وأسمى وأرفع ما يهبه الروح القدس للإنسان المسيحيّ: يُشعل قلبه بالحبِّ الإلهي، ثمَّ يهمس في أُذُنه الداخلية: "ها قد أشعلتُ في قلبك جذوة محبَّة الله، فاخترِ الحياة!"

غير أنَّ الذي يحدث أننا، للأسف الشديد، ليس فقط لا نستمع لصوت الرُّوح القدس في داخلنا ونتجاوب مع نداء الحياة الذي يُطلقه، لكننا نحيد عن الطريق القويم، ونصنع الشُّرور والخطايا. فهل يمتدُّ عمل الرُّوح القدس لهذا الصراع بين الخير والشرِّ في داخلنا؟ **(يتبع)**

(٨) "رسائل القدِّيس أنطونيوس"، الرسالة الثامنة: ١، ٢، دير القدِّيس أنبا مقار، ٢٠٠١، ص ٧٦.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدِّيس أنبا مقار**

مفهوم الخلاص

عن طريق الاتِّحاد بالله في كتابات القدِّيسين

إيرينيئوس وأثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير

مع تقديم لقداسة البابا تواضروس الثاني الذي يقول فيه:

[عندما تشرع، أيها القارئ العزيز، في قراءة هذا الكتاب، تكون في محضر ثلاثة من آباء الكنيسة العِظَام الذين عاشوا الكلمة المقدَّسة واختبروها جيِّدًا، فهمًا ومعنًى ورمزًا وشرحًا وتفسيرًا وصياغةً في كلماتٍ دقيقة التعبير ...].

والكتاب ٢١٦ صفحة (من القَطْع المتوسِّط)

****

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة

من خلال طاعة إرادته[١]

(٢٢)

٣ – نقاوة القلب (KATHARSIS) مِن خلال التَّوبة (تابع):

يؤكِّد القدِّيس غريغوريوس النزينزي على أهميَّة الصَّلاة المستمرَّة، والتأمُّل، والقداسة الشخصيَّة للشخص الذي يريد معرفة الله.

الروحانيَّة الأرثوذكسيَّة مليئة بالنَّصائح، إذ يلزم للراهب (أو أي إنسان) أنْ يحمي القلب باستمرار مِن نهر الأفكار الدَّنسة التي تهجم عليه عندما يحاول التركيز على الله أثناء الصلاة. مِثل هذه الأفكار التَّشتُّتِيَّة تسعى إلى منع الله من الدخول وإقامة مذبحه الإشعاعي في قلب الشخص الذي يُصلِّي. وهذه النَّصيحة المُتكرِّرة للفيلوكاليا هي السَّهر والصلاة: «اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ» (مت ٢٦: ٤١).

والآن، ما الذي يُنقِّي الروح ويُطهِّر العيون لترى الله؟ إنها التوبة، والاعتراف، والانسحاق، والدموع. معرفة المسيح لا تحتاج عقلًا منطقيًا، بل تحتاج روحًا مُستنيرة. المعرفة العلميَّة يمكن اكتسابها مِن خلال الدراسة حتى دون أنْ تكون الروح نقيَّة؛ لكن التأمُّل في الله ينتمي فقط لأولئك الأنقياء. الشخص الذي يتنقَّى، يرى الله ويرى أيضًا صورة الله في جاره.

وبحسب كلمات الأب جوستين بوبوفيتش Fr. Justin Popovich:

"وكما إنَّ كلَّ فضيلة تبعث نورًا، فهكذا كلُّ خطيَّة تبعث ظلامًا. ولهذا السَّبب تفتح الفضائل أعين البشر، كما إنَّ الخطية تعميهم".

ويُضيف الشيخ بورفيريوس Elder Porphyrios:

"لا تتصوَّروا ... أنَّ الجميع هنا يَرَوْنَ نور الحقيقة بنفس الوضوح. كلُّ شخص يرى حسب حالة نفسه ... وعلى سبيل المثال، قد يرى الجميع نفس الصُّورة، ولكن ليس كلُّ مَن يراها

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:
Anthony M. Coniaris, Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy.

تكون لديه نفس المشاعر. هذا ينطبق أيضًا على النور الإلهي. النور الحقيقي لا يُشرق في كلِّ قلوب البشر بنفس الطريقة، فضوء الشمس الطبيعي يُشرق بنفس الطريقة في كلِّ مكان، لكن أشعة الضوء لا تتغلغل بعيدًا في منزلٍ إذا كانت نوافذه متَّسخة، فإنَّ السواد لا يسمح للأشعة باختراقه. وهكذا أيضًا النُّور غير المخلوق لا يكون نافذ المفعول مؤثِّرًا في النَّفس إذا كان القلب غير نقي، وهذا كان يحدث أيضًا حتى لقدِّيسينا وأنبيائنا، حتى إنَّهم كانوا يختبرون النور الإلهي وفقًا لنقائهم"[٢].

النقاء لا يحدث بدون توبة، حيث كان موضوع العظة الأولى للربِّ يسوع: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ» (مت ٤: ١٧).

فلاديمير لوسكي Vladimir Lossky يؤكِّد على ذلك عندما يكتب ويقول:
"الروح التي لا تتحوَّل بالتوبة لا تعرف النِّعمة؛ وبالتالي تتوقَّف عن إحراز التقدُّم في طريق الصعود. هذا هو: "عدم إحساس القلب المُتحجِّر"، وأيضًا يظهر عَرَض الموت الروحي. التوبة وفقًا للقدِّيس يوحنا السُّلَّمي (الدَّرَجي)، تجديدٌ للمعمودية حسب قوله: "لقد أصبح ينبوع الدموع بعد المعمودية أعظم مِن المعمودية، على الرغم مِن أنَّ هناك جسارة في هذا القول". ربَّما يظهر هذا الحُكْم مُتعارضًا أو حتى مخزيًّا لو نُسِيَ أنَّ التوبة هي ثمرة نعمة المعمودية؛ إنَّها بالفعل نفس النعمة عندما يتمُّ الحصول عليها. هذه النعمة المُعْطاة للبشر، تصبح فيها "عطية الدموع" هي العلامة المُحقَّقة أنَّ القلب مغمورٌ بحبِّ الله. يقول القدِّيس يوحنا السُّلَّمي: "إنَّنا عندما تُفارِق أرواحنا الحياة، لا نُتَّهم لأننا لم نُجرِ معجزات، أو لأنَّنا لم نكن لاهوتيِّين، أو لأننا لم نَرَ رؤًى؛ ولكن سوف نُحاسَب جميعنا أمام الله لأننا لم نبكِ بلا انقطاع على خطايانا". هذه الدموع الكاريزمية، التي هي علامة إتمام التوبة، تكون – في نفس الوقت – الثَّمر الأول لفرحٍ غير محدود: «طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ» (مت ٥: ٤). الدموع تُنقِّي طبيعتنا، لأنَّ التوبة ليست مجرد جهدنا وكفاحنا، لكنَّها أيضًا العطيَّة المتألِّقة للروح القدس، المُخترِقة والمُحوِّلة قلوبنا"[٣].

---

(2) Wounded by Love. Elder Porphyrios, Denise Harvey Publ. Evia, Greece. 2005.

(3) V. Lossky. James Clarke and Co., The Mystical Theology of the Eastern Church. Ltd. Cambridge and London. 1968.

٤ – مِن التَّطهير إلى الاستنارة إلى الاتِّحاد بالله:

كَتَبَ القدِّيس غريغوريوس النزينزي يقول:

[حيثما يوجد التَّطهير، توجد الاستنارة].

وَصَف الأب يوحنا رومانيدس Fr. John Romanides الحياة المسيحيَّة، بأنَّها رحلةٌ مِن التَّطهير إلى الاستنارة إلى الاتِّحاد بالله. فبدون النقاوة والقداسة لا يستطيع أحدٌ أنْ يعرف الله: «الْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ» (عب ١٢: ١٤).

وهذا ليس المقصود به أنَّه يمكن لأيِّ واحدٍ منَّا أن يكون كُلِّي الطُّهر والقداسة، لأنَّه لا يمكن لأحدٍ أنْ يصل إلى النقاوة والقداسة الكاملتين في هذه الحياة؛ ولكن هذا يعني أنَّه ينبغي لنا أنْ نسعى إلى السَّيْر على الطريق الذي يقود إلى النَّقاوة والقداسة، لأنَّنا لا نستطيع أنْ نصل إلى الطهارة والقداسة الكاملتين إلَّا عند ظهور الرب: «وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ» (١ يو٣: ٢).

٥ – التَّواضُع:

بالإضافة إلى النُّسك ونقاء القلب مِن خلال التوبة، فهناك وسيلة أخرى نحتاجها لنعرف الله وهي التواضع. لا يستطيع أحدٌ أنْ يأتي إلى الله بدون تواضع. تقول كلمة الله: «اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً» (١بط ٥: ٥). يلزم أنْ تكون الكأس الداخلية فارغة مِن الذات قبل أنْ يملأها الله بنفسه. يكتب ستارتز سلوان Staretz Silouan فيقول:

”وحتى بعقولنا لا نستطيع أنْ نعرف كيف صُنعت الشمس، ولو توسَّلنا إلى الله ليُخبرنا كيف صَنَع الشمس؟ فإنَّ الإجابة سترنُّ بوضوح في أرواحنا: "تواضعوا وستعرفون ليس فقط الشمس، بل وأيضًا خالق الشمس". المتواضعون هم حقًّا الذين يستطيعون معرفة الله، ولهذا السَّبب قال الرَّبُّ يسوع: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَال» (مت ١١: ٢٥)“.

لا يمكنك معرفة الله لو لم تعرف نفسك، لا كخالقٍ بل كمخلوق.

وبحسب كلمات القدِّيس يوحنا السُّلَّمي:

[الله يُعلِن نفسه، ليس استجابة لمجهوداتنا، لكن استجابة للتواضُع والبساطة التي تأتي مِن خلال الإيمان] (فيلوكاليا).

فيما يلي صلاة أخرى مِن صلوات القدِّيس سلوان المُلهمة عن التواضُع:

[يا إله الرحمة، أنت تَعْلَم ضعفنا، أتوسَّل إليكَ اِمنحني روحًا متواضعة، لأنه في رحمتك أنتَ تُعطي الروح المُتواضعة أنْ تعيش حسب إرادتك. أنتَ تُعلِن أسرارك لها (للروح المُتواضعة). أنتَ تمنحها التعرُّف عليك وعلى حبِّك اللانهائي لنا].

لهذا، يُخبرنا القدِّيس سلوان أنَّه كلَّما يزداد تواضُعنا، كذلك أيضًا تزداد معرفتنا بالله؛ والعكس أيضًا صحيح، فكلَّما يزداد تكبُّرنا، كلَّما قلَّت معرفتنا بالله.

٦ - القدِّيس صاروفيم مِن صاروف:

يؤكِّد القدِّيس صاروفيم صاروفسكي بشدَّة على أهمية التواضع لو أردنا أنْ نعرف الله، فيقول:

[ما أعظم فرحنا أنَّ الربَّ لا يُسامحنا فقط على أخطائنا، لكن يسمح للنَّفس بأنْ تعرفه بمجرد أنْ تتَّضع. أفقر البائسين يمكنه أنْ يضع نفسه (يتواضع) ويعرف الله في الروح القدس. لا يوجد احتياجٌ إلى مال أو ممتلكات لتعرف الله، فقط مِن خلال التواضع يمكن معرفته.

الله يُعطي نفسه مجَّانًا مِن أجل رحمته وحدها. لم أكن أعرف ذلك مِن قَبْل، لكن الآن كلَّ يوم وكلَّ ساعة وكلَّ دقيقة أرى بوضوح رحمة الله.

الرَّبُّ يُعطي سلامًا حتى في النوم، لكن مِن غير الله لا يوجد سلامٌ في الروح. الله لا يُعلن نفسه للبعض بسبب كبريائهم العقلاني، ومع ذلك ما يزالون يعتقدون أنَّهم يمتلكون الكثير مِن المعرفة؛ ولكن ما قيمة معرفتهم إنْ كانوا لا يعرفون الرب، ولا يعرفون نعمة الروح القدس، ولا يعرفون كيف تأتي النِّعمة وكيف تُفقد؟

ولكن دعونا نتَّضع (نتواضع)، أيُّها الإخوة، والربُّ سيُظهِر لنا كلَّ شيء، كأبٍ مُحبٍّ يُظهِر كلَّ شيء لأطفاله].

هذا لا يعني أنَّ التواضُع يمْكنه أنْ يكشف سِرَّ الله؛ بل بالأحرى يَدَعنا نقترب مِن سِرِّ الله، كما اقترب موسى مِن الشُّجيرة المُشتعلة في صحراء سيناء بعد أنْ خلع حذاءه، وغطَّى وجهه، وكان يرتجف مِن الرَّهبة.

توجد قصَّة عن آباء الكنيسة الأولى بخصوص أنبا مقار المصري الذي كان يتصارع ضدَّ

الشيطان، وذات يوم ظَهَر له الشيطان ليمنعه مِن الصلاة، فقال له الراهب في حُزنٍ شديد: "لماذا تُحاربني بمثل هذه الكراهية؟ هل لأنِّي أصوم؟". فأجابه الشيطان: "لا، فأنا لا آكل قط". فسأله الراهب مرَّةً أخرى: "هل لأنِّي أنام قليلًا؟". فقال له الشيطان: "لا، فأنا لا أنام أبدًا". فقال له الرَّاهب: "لماذا، إذن، تُحاربني بهذه الحرب الشَّرسة؟". فأجابه الشيطان مرَّةً ثالثة قائلًا: "بسبب تواضُعك".

مِن خلال التَّواضُع يمكننا أنْ نصل إلى معرفة الله.

٧ – الطَّاعة:

بالإضافة إلى الإيمان والتواضُع، هناك وسيلة أخرى نحتاجها لنعرف الله، وهي الطاعة. لا يمكن معرفة الله – في الحقيقة – بدون طاعة. يكتب القدِّيس يوحنا ويقول: «مَنْ قَالَ: "قَدْ عَرَفْتُهُ" وَهُوَ لَا يَحْفَظُ وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ» (١يو٢: ٤).

نحن لا نعرف الله حقًّا بدون طاعة لمشيئته. ربَّما تكون لنا أفكارٌ مُشوَّشة ومُجرَّدة قليلًا عن الله بدون طاعة، لكن سوف لا نعرفه. في لغة آباء الكنيسة لا توجد معرفة حقيقية true *Gnosis* دون تطبيق عملي *praxis* للطَّاعة. يقول المُرَبُّون: "نتعلَّم بالعمل وبالمُمارسة"؛ وهكذا في المسيحية أيضًا نتعلَّم أنْ نعرف الله بعمل مشيئته.

يقول سي إتش دودّ C. H. Dodd:

"أنْ تعرف الله هو أنْ تختبر محبَّته في المسيح، وتُعيد هذا الحبَّ مِن خلال الطاعة".

نحن نعرف الله بحبِّه وطاعته.

نحن سوف لا نعرف الربَّ يسوع فقط بقراءة الكُتُب عنه أو بالتفكير العقلي به. علينا أنْ نختبر طُرُقه، وأنْ نعمل مشيئته، وأنْ نُعطيه الوُصاية على حياتنا.

كتب ديتريش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer يقول:

"أولئك فقط الذين يُطيعون حقًّا يمكنهم الإيمان، وفقط أولئك الذين يؤمنون حقًّا يمكنهم الطاعة دائمًا".

(يتبع)

بحث تاريخي

أديرة وكنائس منفلوط الأثريَّة

(٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

٢ – كنيسة رؤساء الملائكة ميخائيل وغبريال ببني مجد:

وَرَدَ ذِكْر هذه الكنيسة في مؤلَّف المؤرِّخ المملوكي تقي الدين المقريزي في القرن الخامس عشر الميلادي، غير أن المبنى الحالي يرجع إلى القرن السابع عشر الميلادي – الثامن عشر الميلادي[١]. وتُعتبَر الكنيسة واحدة من أقدم الكنائس القبطيَّة بمنفلوط **(الشكل رقم ٣)**، وتمَّ بناؤها في قرية بني مجد التى توجد على بعد ٣ كم في الناحية الغربية من منفلوط. وينخفض مستوى أرضيَّة هذه الكنيسة عن مستوى المباني المجاورة لها بحوالي ٣ أمتار. وتتميَّز كنيسة رؤساء الملائكة ميخائيل وغبريال ببني مجد بنظام الخوارس، لذا يوجد حائط به أبواب يفصل هيكلها عن باقي أجزاء الكنيسة التي تحتوي أيضًا على مغطس كبير الحجم خلف هياكلها. واكتُشِفَت في هذه الكنيسة أحجبة خشبية مُطعَّمة إلى جانب مجموعة من الأيقونات والمخطوطات الأثريَّة.

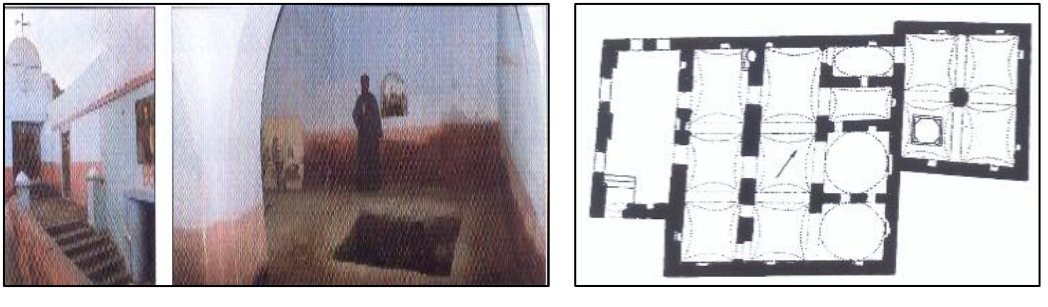

(الشكل رقم ٣) التخطيط المعماري ومنظر داخلي لكنيسة رؤساء الملائكة ميخائيل وغبريال ببني مجد.
نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٢.

(١) الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٢.

٣ – دير الأمير تادرس شقير شرق منفلوط:

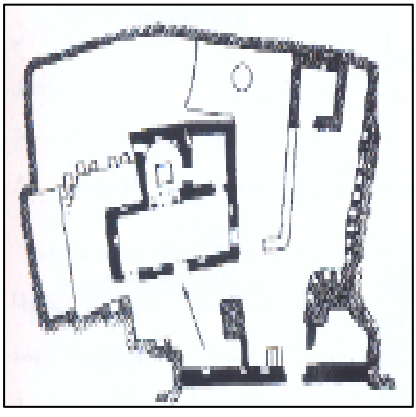

(الشكل رقم ٤) التخطيط المعماري لدير الأمير تادرس شقير شرق منفلوط. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٣.

أشار المؤرِّخ المملوكى تقي الدين المقريزي إلى هذا الدير القبطي الهام والمبني على الضفة الشرقية للنيل في مواجهة بني شقير الواقعة على بُعْد ٧ كم تقريبًا شمال شرق منفلوط **(الشكل رقم ٤)**. والدير مُحاطٌ بمقابر قديمة لا تُستَعْمَل في الوقت الحالي. كما يوجد سورٌ من الطوب اللَّبن يُحيط بالكنيسة وكل مُلحقاتها، وكذلك حُجرات الزوَّار. ولم يتمَّ اكتشاف أيَّة آثار لمباني رهبانيَّة قديمة؛ لذا يُعتَقَد أنَّ المتوحِّدين الأقباط ربما عاشوا في المغارات القديمة المنتشرة بكثرة بجوار هذا الدير. كما توجد كنيسة الدير داخل مغارة كبيرة نُحِتَت في الصخر. ويُعتَقَد أن المغارة كانت مُستَخدَمة قبل ظهور المسيحيَّة في مصر. وقد قام الأقباط فيما بعد بسدِّ مداخلها بالطوب، وشيَّدوا فيها كنيسة صغيرة الحجم، احتوت على هيكلٍ واحد شكله نصف دائري وبداخله حنيات، بالإضافة إلى وجود حُجرة جانبية، وكذلك خورس واحد. وفي داخل المغارة، توجد أيضًا بقايا أثريَّة للقُّان أو ربما مغطس.

٤ – كنيسة العذراء ببني عُدَي:

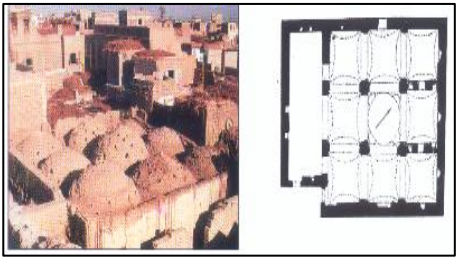

(الشكل رقم ٥) التخطيط المعمارى لكنيسة العذراء ببني عُدَي. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٤.

وهي مُشيَّدة داخل قرية بني عُدَي الجنوبية التى توجد على بُعْد ١٠ كم تقريبًا في الناحية الغربية من منفلوط **(الشكل رقم ٥)**. وهي أيضًا من كنائس القرن الثامن عشر الميلادي – التاسع عشر الميلادي[٢]، والتي تتميَّز بوجود الاثنتي عشرة قبَّة المُعتادة. وتحتوي قباب هذه الكنيسة على ثقوب دائرية كثيرة للتهوية وللإضاءة، وهو أمرٌ مألوف في أغلب الكنائس القبطيَّة في مختلف

(٢) الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٤.

المحافظات المصرية. كما إنَّ بالكنيسة خورسًا غربيًّا مُخصَّصًا للسيِّدات، وله باب يُفتَح مباشرة على الشارع. وعُثِر في كنيسة العذراء ببني عُدَي على مجموعة هامة من الأيقونات والمخطوطات القديمة.

٥ – كنيسة القدِّيس فيلوباتير مرقوريوس أبي السيفين بالجاولي بمنفلوط:

سبقت الإشارة بالتفصيل إلى هذا القدِّيس الهام وأهم أديرته وكنائسه، وبالأخص هذه الكنيسة الهامة في مقالتنا[٣] المنشورة في شهرَي مارس وأبريل ٢٠٢٥م.

٦ – المطرانية القديمة بمنفلوط:

شُيِّدَت هذه المطرانية في منتصف الحيِّ القديم في منفلوط **(الشكل رقم ٦).** ويوجد في كنيستها حجابٌ قديم مُطعَّم يمتدُّ بعرض الكنيسة. وربما تمَّ نقله من الكنيسة الأثريَّة التي كانت موجودة في نفس المكان، مِمَّا يؤكِّد أنَّ مبنى المطرانية الحالي حديث.

(الشكل رقم ٦) التخطيط المعماري للمطرانية القديمة بمنفلوط. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٣.

الكنائس الأثريَّة بآثار منقباد بأسيوط:

توجد هذه المباني الأثريَّة على مقربة من منفلوط، وفي أول طريق الواحات المؤدِّي إلى

---

(٣) الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص. ١٤٢؛ شيرين صادق الجندي، "أهم أديرة وكنائس القدِّيس أبي السيفين الأثريَّة في مصر (١-٢)"، مجلة مرقس، العددان (٦٦٢-٦٦٣)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (مارس – إبريل ٢٠٢٥)، ص ٤١-٤٩؛ ص ٤٩-٥٣.

الوادي الجديد **(الشكل رقم ٧).** وبعد مسافة قليلة من السير في هذا الطريق، يتمُّ الدخول في طريقٍ جانبي للوصول إلى هذه الكنائس الأثريَّة بجوار معسكر يبعد بحوالى ١٢كم عن محافظة أسيوط. ويُحيط بهذا الموقع الأثري سورٌ بداخله منشآت كثيرة ترجع إلى العصر الروماني. وربما أُعيد استعمالها بعد انتشار الديانة المسيحيَّة في مصر، حيث اكتُشِفَت بداخلها رسومات جدارية نُفِّذت بأسلوب الفريسكو. كما عُثِر بداخلها كذلك على بعض أشكال الصلبان، بالإضافة إلى نصوص قبطية. وفي جنوب شرق هذه المنطقة الأثريَّة، تمَّ اكتشاف ثلاث كنائس ترجع إلى القرن السابع الميلادي. وقام أثريُّون مُتخصِّصون من جامعة أسيوط ببعض الحفائر الأثريَّة في هذا الموقع الأثري الهام، غير أنهم لم يُكمِلوا أعمال هذا التنقيب.

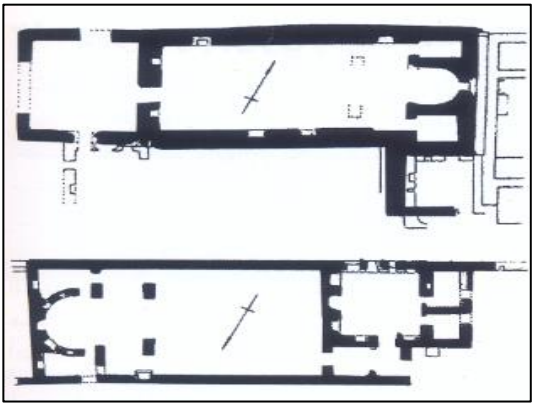

(الشكل رقم ٧) التخطيط المعماري لبعض الكنائس الأثريَّة بآثار منقباد بأسيوط.
نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٥.

ومن أهم الكنائس القبطيَّة الأخرى والأحدث بمنفلوط، نُشير كذلك إلى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل في العزية، وكنائس العذراء مريم في نزلة قرار والحواتكة والعزية، وأيضًا كنيسة العذراء مريم ***Theotokos*** فى بني رافع؛ بالإضافة إلى كنائس الشهيد مار جرجس في عزبة ألكسان والبورة وبني سند، إلى جانب كنيسة البابا كيرلس السادس في قرية العزية، بالإضافة إلى خدمة كاهن عام إيبارشية منفلوط وتوابعها.

الخاتمة:

مِمَّا سبق، يتَّضح تنوُّع المعالم الأثريَّة والسياحيَّة في مدينة أسيوط في صعيد مصر، وبالأخص في منفلوط، بالإضافة إلى وجود كثير من الأديرة والكنائس القبطيَّة القديمة والحديثة المُكرَّسة لأشهر ولأهم القدِّيسين والشهداء الأقباط. وهو ما يدلُّ على انتشار المسيحيَّة وحركة الرهبنة القبطيَّة منذ العصور المسيحيَّة الأولى في أغلب مناطق أسيوط، والتى شُرِّفَت بزيارة العائلة المقدَّسة في القرن الأول الميلادي طبقًا للتقليد القبطي الأرثوذكسي. وقد حلَّت المباني الحديثة محل أغلب المباني القبطيَّة القديمة أثناء مشروعات

التطوير والتجديد؛ لذا ترجع المباني الحديثة إلى القرن الثامن عشر الميلادي – التاسع عشر الميلادي، وربما اختلفت مساحاتها وطُرُزها المعماريَّة والفنيَّة لهذا السبب. كما تتعدَّد المواقع السياحيَّة والثقافيَّة في أغلب مراكز مدينة أسيوط، مِمَّا يؤكِّد على ارتفاع الوعي الثقافي والتُّراثي بين أبناء هذه المحافظة، التى انتشرت في ربوعها مظاهر الحضارة القبطيَّة على مرِّ العصور التاريخية المختلفة.

****

الحبُّ الإلهي وسعادة الحياة الأبديَّة

للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم

☥

[فلنحب، إذن، ذاك (الله) بحبٍّ لا مثيل له،
لننال الأمور العتيدة والحاضرة كليهما،
بل بالحريِّ، فوق هذا كلِّه، من أجل طبيعة الحبِّ نفسه!
فمع إننا بذلك الحبِّ نفلت من عقوبات الحياة الحاضرة والعتيدة
ونفوز بالملكوت؛
لكن لا الانفلات من جهنم ولا التمتُّع بالملكوت،
يكون له قدرٌ عظيم بجوار ما سأقوله:
فإنه يفوق هذه الأمور جميعًا
أن نقتني المسيح عاشقًا لنا ومعشوقًا منَّا في آنٍ واحد!
فإن كان حينما يحدث ذلك بين الناس،
تكون المسرَّة فوق كلِّ شيء آخر،
فحينما يحدث تبادُل هذا الحب مع الله نفسه،
فأيُّ كلام وأيُّ فكر يستطيع أن يُصوِّر
السَّعادة القصوى التي تبلغها تلك النَّفْس؟
لا يستطيع ذلك إلَّا الاختبار الفعلي وحده]!

(العظة التاسعة في شرح الرسالة إلى رومية)

****

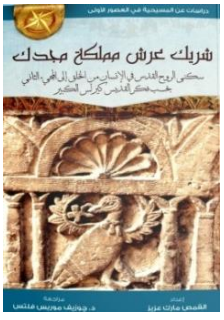

شريك عرش مملكة مجدك[١]

سُكنَى الروح القدس من الخلق إلى المجيء الثاني

بحسب فكر القدّيس كيرلس الكبير

إعداد القمص مارك عزيز

مراجعة د. جوزيف موريس فلتس

هذا الكتاب يسرد رحلة سُكنَى الروح القدس في الإنسان من الخَلْق حتى المجيء الثاني للربِّ يسوع بحسب فِكر القدِّيس كيرلس الكبير. وحينما يتكلَّم مُعلِّم التَّجسُّد الإلهي القدِّيس كيرلس الإسكندري، علينا أنْ نتنبَّه بشدَّة لنلتقط نفحات الروح القدس التي ينطق بها. وعندما نرنو لفَهْم الخلاص بحسب كتاباته المُتعدِّدة، علينا أنْ نسترجع ما كتبه في تفاسيره العميقة، ولا نأخذ أيَّة جملة شاردة من هنا أو من هناك، أو نجتزئ جملةً منْ إحدى كتاباته ونُقدِّمها على أنها فكره العام. فما أراد القدِّيس كيرلس أنْ يوصِّله إلى فكر الكنيسة، أعاده مرارًا وتكرارًا بإيضاحاتٍ وبراهينَ عِدَّة.

وقد قسَّم الكاتب هذه الرحلة إلى سبعة فصول، تبدأ من الخَلْق حينما نَفَخَ الله في آدم الأول نفخة الروح القدس (تك ٢: ٧)، وتنتهي حين يرتحل الإنسان إلى الفردوس[٢].

الفصل الأول: عطيَّة الروح القدس (الصلاح الأصلي) لآدم الأول:

+ يرى القدِّيس كيرلس أنَّ خِلقة الإنسان كانت ذات طبيعةٍ خاصة، فقد أعطاه الله غِنى التَّشبُّه به، لأنَّ صورة الطبيعة الإلهيَّة رُسِمت في الطبيعة البشريَّة بنفخة الروح القدس.

+ والقدِّيس كيرلس ينفي بشدَّة أنْ تكون النَّفخة التي نالها آدم من الله، تلك التي فَقَدَها بالسقوط، كانت هي النَّفْس البشريَّة، ويؤكِّد على أنَّها هي الروح القدس. ولكن جاء ابن الله ليستردَّها للبشريَّة ثانيةً، مُعطيًا إيَّاها إلى التلاميذ في أحد القيامة. ويعود ويؤكِّد عدم منطقيَّة أن تكون النَّفخة هي النَّفْس البشريَّة، مُبرهِنًا أنَّ ذلك يجعل النَّفْس غير مُتغيِّرة؟ والواقع أنَّها (أي النَّفْس) مُتغيِّرة، ولكن الروح القدس هو وحده الذي لا يتغيَّر.

الفصل الثاني: مُفارقة الروح القدس للإنسان بالسقوط:

+ بسبب تعدِّي آدم، فارَق الروح القدس الطبيعة البشريَّة، وكان التَّجسُّد الإلهي هو الطريق الوحيد إلى استرداد هذه العطية. ويشرح القدِّيس كيرلس مُستشهِدًا بكلمات موسى النبي، أنَّ الوصيَّة كانت لآدم

(١) الكتاب يقع في ١٥٢ صفحة، الناشر: مركز باناريون للتراث الآبائي. طبعة أولى: نوفمبر ٢٠٢٤.
(٢) مؤلِّف الكتاب يؤكِّد على كلِّ فكرة يذكرها باقتباسٍ من كتابات القدِّيس كيرلس المُتنوِّعة.

حافظة للعطيَّة، التي هي ملكيَّة الصورة الإلهيَّة بالروح القدس الذي سكن فيه؛ ولكنه لمَّا انحرف، بغواية الشيطان، سمع الصوت: «لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» (تك ٣: ١٩).

+ ونفس هذا الفكر الذي شرحه القدِّيس كيرلس، يقوله الأنبا بولس البوشي في القرن الثالث عشر، في ميمر له عن عيد الغطاس، إذ يقول: "اليوم عَتَقَنا الابن من العبوديَّة المُرَّة، وصيَّرنا أحرارًا عندما جعل فينا روح قُدْسه، ذاك الذي نَزَعَه مِنْ أبينا آدم عند أَكْله مِنْ عودِ المعصيَّة".

الفصل الثالث: معموديَّة المسيح هي استعادة الصَّلاح الأصلي:

+ يكشف لنا القدِّيس كيرلس أنَّ الروح القدس لم يستقرَّ في طبيعة الإنسان بسبب ضلال آدم واختياره للخطية، وجاء آدم الثاني ليردَّ الروح القدس لحساب البشريَّة. وبكون آدم الثاني هو الابن المُتجسِّد، فهو قادرٌ أنْ يحتفظ لنا به، وليس كمثال آدم الأول الذي لم يستَرِحْ فيه الروح القدس، بل فارقه نتيجة سقوطه.

+ يُقرِن القدِّيس كيرلس بين النار المحسوسة في الذبائح ونار الروح القدس، مُشيرًا إلى أنَّ كليهما لا ينطفئ، لأن المسيح هو القادر وحده أنْ يحتفظ به لنا. وبالإضافة لذلك، فقد صارت النار في العهد الجديد نارًا غير محسوسة، وصار روح الإحراق والقضاء هو الذي يُقدِّس بشريَّتنا ويجعلنا حارِّين في الروح.

+ وفي موضعٍ آخر، يوضِّح القدِّيس كيرلس أنَّه بعد سقوط آدم الأول احتاج الإنسان إلى بدءٍ جديد، فلم يَعُد الطريق مُمَهَّدًا نحو الأقداس؛ لذا جاء الابن مُتجسِّدا، مُشابهًا لنا في كلِّ شيء ما خلا الخطية، لكي يقبل لنا الروح القدس في بشريَّته، ولكي يُصبح لنا الباب والبداية والطريق لكلِّ الخيرات السمائيَّة.

+ لقد كان قانون الإيمان دائمًا في قلب القدِّيس كيرلس، ويُشكِّل كلَّ أساسيَّات فكره اللاهوتي، فهو يُردِّد كثيرًا عبارة: "هذا الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ...". ويؤكِّد أنَّ كلَّ ما فعله المسيح لم يكن لنفسه بل لأجلنا في نفسه، لكي يسترجع لنا كلَّ ما فقدناه في آدم الأول. لذلك فقد صار ابن الله إنسانًا له كلُّ ما لطبيعتنا في نفسه، لكي يرفعها كلَّها، مُغيِّرًا شكلها إلى حالتها الأولى.

+ ويشرح القدِّيس كيرلس كيف أنَّ العبادة الناموسيَّة لا تمنح الروح القدس للعابد على الإطلاق؛ ولكن بتجسُّد ابن الله، وبقبوله الروح القدس في بشريَّته لأجلنا، وبإعطائه الروح القدس لنا بعد قيامته، تزيَّنت الطبيعة البشريَّة بالروح وبشركتها مع المسيح.

+ وأخيرًا، عندما نتيقَّن مِنْ أنَّ آدم جدَّنا الأول لم يكن قادرًا أنْ يحفظ لنا عطية الروح القدس، يصير فرحنا أكثر يقينًا بآدم الثاني، لأنَّه بقدرته استعاد الروح القدس وكلَّ الخيرات الصالحة لنا، وحفظها بأمانٍ لطبيعتنا على الدوام؛ إذ يُقرِضنا ثبات طبيعته الخاصة.

الفصل الرابع: نفخة عطية الروح القدس (الصَّلاح الأصلي) من المسيح إلى التلاميذ:

+ بعد أنْ أوضح القدِّيس كيرلس ما كان للبشريَّة قبل السقوط من سُكنَى الروح القدس، وكيف فُقِدت هذه النعمة بالسقوط، وكذلك بعد أنْ أوضح حتميَّة التَّجسُّد الإلهي لابن الله لكي يستعيد لبشريَّتنا كلَّ ما فَقَدَته في آدم الأول؛ ها هو يُرينا المسيح الخالق، وهو يُعيد خلقة الإنسان من جديد بنفخةٍ مُماثلة للخِلقة الأولى. ولكن هذه المرَّة، فإنَّ النَّفخة محفوظة للبشريَّة، لأنَّ الابن المُتجسِّد الذي اقتناها لنا، قادرٌ أنْ يحفظها لنا، وكأنَّه كان يستردُّ النَّفخة المُعطاة لآدم (تك ٢: ٧)، والتي فَقَدَها بعودته إلى التراب (تك ٣: ١٩).

+ لقد كان خِتان العهد القديم علامة العضويَّة في جماعة الله، وكذلك كان رمزًا لمعموديَّة العهد الجديد. ولكن بعد القيامة، حدثت نقلة روحيَّة مِنْ خِتان العهد القديم إلى الخِتان الروحي، حينما نفخ ربُّ المجد في وجوه تلاميذه قائلًا: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ» (يو ٢٠: ٢٢). وبذلك بدَّل يوم الخِتان الجسدي (اليوم الثامن) إلى يوم قيامة الرب، ونَقَلَ قوَّة قيامته للبشريَّة بالروح القدس.

+ ولكي يُبرز بوضوح دور الابن في سكيب الروح القدس، حيث إنَّه الخالق الشريك مع الآب، يشرح القدِّيس كيرلس التَّسليم الرسولي، وكيف سلَّم المسيحُ تلاميذَه عطية الإرساليَّة، التي هي قوَّة من الأعالي، وكيف تغيَّروا تمامًا إلى حالةٍ قادرة أنْ تلد كثيرين لملكوت الله.

+ ولحاجة التلاميذ والكنيسة فيما بعد إلى نور الروح القدس ليستعلنوا للعالم سرائر تفوق الفكر البشري؛ كان مِنْ الضروري أنْ ينالوا نعمة الروح القدس في ارتباطٍ مُباشر بالوظيفة الرسوليَّة. ولذلك أعطاهم المسيح الروح القدس، ليس لأنَّ المسيح يخدم الروح القدس؛ بل هو يُعطيه مِنْ ذاته، لأنَّ الروح القدس لا يحلُّ علينا ولا ينزل من عند الآب إلَّا من خلال الابن.

+ وقد يتساءل البعض: أين ومتى أَخَذَ الرُّسُل نعمة الروح القدس؟ هل عندما ظهر لهم المُخلِّص بعد قيامته ونفخها في وجوههم، قائلًا: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»! أم في يوم العنصرة، عندما كانوا مجتمعين معًا، وحلَّ عليهم الروح القدس مثل ألسنة نارٍ مُنقسمة ومُستقرَّة على كلٍّ واحدٍ منهم؟ ويُجيب القدِّيس كيرلس عن هذا التساؤل ويقول: إنَّ التلاميذ قبلوا الروح القدس بالفعل في مساء أحد القيامة. فالله الذي من البدء خلقنا ونَفَخَ فينا روحه القدوس، هو نفسه مُخلِّصنا الذي يمنحنا روحه القدوس من خلال نفس النَّفخة. ويوم العنصرة لم يكن بالنسبة للتلاميذ بداية نعمة الروح القدس، ولكن بداية عمله فيهم.

الفصل الخامس: حلول الروح القدس على الكنيسة يوم الخمسين:

+ علَّمنا آباء الكنيسة، وبالأخصِّ آباء كنيسة الإسكندريَّة، أنَّه مهما كان الموضوع الذي يشرحونه

عن أيِّ عملٍ من أعمال المسيح الخلاصيَّة، فالبداية الأولى للشرح الصحيح دائمًا ما تكون من الخَلْق والسقوط. ويقول القدِّيس كيرلس أنَّ التَّجسُّد كان بداية الطريق لتجديد الطبيعة البشريَّة وتأهيلها للدخول إلى الأقداس، وإعلان طريقٍ كامل للحياة، ليس فيه أيَّة قابلية للخطإ، وأنَّ كلَّ هذا حقَّقه المسيح بتجسُّده.

+ يقول القدِّيس كيرلس إنَّ صعود المسيح كان ضروريًّا ليفتح لنا الطريق المؤدِّي إلى السماء، ولكي يُدخِل إلى حضرة الآب البشريَّة المطرودة بسبب تعدِّي آدم. وصار الابن بذلك هو الباكورة، وأوَّل مَنْ صَعِدَ إلى السماء مِنَ البشر. فهو قد صَعِدَ كسابقٍ من أجلنا. فحينما اكتملت رسالته على الأرضِ، كان مِن الضروري أنْ يُتمِّم ما كان باقيًا بدون تتميم، أي صعوده إلى الآب. كما تُصلِّي الكنيسة: "أَصْعدتَ باكورتي إلى السماء".

+ يشرح القدِّيس كيرلس أنَّه بالصعود قد اكتمل عمل الخلاص من جهة الابن المُتجسِّد، فقد جدَّد البشريَّة بالكامل بموته المُحيي وبقيامته المقدَّسة، وأخيرًا أَصْعَد البشرية فيه إلى السماء. ولكن بَقِيَ إتمام الوعد بإرسال الروح القدس، لأنَّه كان من الضروري أنْ نصير شركاءَ الطبيعة الإلهيَّة للكلمة، ونتحوَّل إلى حياةٍ أخرى جديدة. ومن المستحيل أنْ نبلغ هذا سوى بالشركة في الروح القدس.

+ يُبيِّن القدِّيس كيرلس حاجة البشريَّة إلى **جذرٍ جديد**. ولقد وُلِدنا من جذرٍ قديم فاسد، من آدم الأول. ولمَّا قام المسيح – آدم الثاني – مِنْ بين الأموات، صار باكورة الطبيعة الجديدة، وصار جذر عدم فسادنا، لننبت منه بحلول الروح القدس علينا، لكي يجمعنا ويُشكِّلنا إلى الرَّسم الإلهي من جديد.

+ يشرح القدِّيس كيرلس دور الثالوث القدوس المُتكامل معًا لتحقيق خطة تمجيدنا الأبدي: فالآب الذي أرسل ابنه مُخلِّصًا ليبذل نفسه من أجل خلاص العالم، الآن هو يستقبله عند صعوده، فيستقبل فيه الكنيسة الجامعة من آدم إلى آخر الدهور، فيُسرُّ به، إذ أكمل خلاص البشريَّة، وأعلن عن حبِّ الآب عمليًّا. والابن يطلب من الآب أن يُرسل لها المُعزِّي الآخر (الروح القدس)، الذي يحلُّ في الكنيسة ويُقدِّسها ويقودها دون أنْ يفارِق الآب أو ينفصل عنه. هكذا تظهر علاقة الحبِّ المُتبادَل بين الثالوث القدوس العامل لخلاص البشريَّة.

الفصل السادس: معموديتنا ونيلنا ما فعله المسيح لأجلنا:

+ يا لفرحة البشريَّة المُفتداة، لأنَّه إنْ كان ناموس الخطية يؤدِّي إلى الموت الأبدي، فإنَّ ناموس الروح الذي يهبه لنا المسيح يؤول إلى القيامة مِنْ بين الأموات لأبديَّةٍ مُفرحة. والروح القدس الذي يهبه المسيح ليسكن فينا، هو الروح القدس الذي أقامه مِنْ بين الأموات، وهو قادرٌ أنْ يُقيم طبيعتنا

الساقطة، وينزع عنها ناموس الخطية أو الحياة الجسدانيَّة الشهوانيَّة، ليهبنا الطبيعة الجديدة، الطبيعة المُقامة في المسيح التي يسودها ناموس القيامة والحياة.

+ يصف القدِّيس كيرلس كيفية انتقالنا من حياة آدم الأول الفاسدة إلى جذرنا الجديد في آدم الثاني. والبداية هي في جُرْن المعمودية. ففيها ننال تقديس الروح والجسد. فطبيعة الماء المحسوس تتحوَّل إلى ماءٍ إلهيٍّ ذي فاعلية مستيكيَّة لا توصف.

+ نحن بالروح القدس في المعموديَّة نصير أبناء الله بالتَّبنِّي في المسيح. فعندما سمع الجمع أثناء معموديَّة المسيح: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ»، كان هذا هو عمل الروح القدس في البشريَّة لكي تُدعَى للبنوَّة. فهذا الصوت لم يكن لأجل الابن المُتجسِّد وحسب، بل كان دعوةً لكلِّ إنسان للتَّبنِّي بواسطته وفيه.

+ ويصف القدِّيس كيرلس حالة التلاميذ قبل قيامة المسيح وقبل حلول الروح عليهم، مُبيِّنًا كيف كانوا في ضعفهم الفطري وخوفهم من الموت، والذي تحوَّل إلى النقيض تمامًا حينما نالوا روح الله.

+ تُسمَّى المعموديَّة "استنارة"؛ إذ مِنْ خلالها تنفتح بصيرة المؤمنين الداخلية بنور الروح القدس، ليعرفوا المعنى الحقيقي لأسرار الابن. وهكذا ينالون إمكانية معرفة الآب.

+ الروح القدس يُقدِّس الخليقة المنظورة وغير المنظورة. فبعد سُكنَى الروح القدس، صارت الخليقة تتمتَّع – ولأول مرة – بالقداسة. وهذه القداسة ليس لها غير مصدرٍ واحد، وهو المسيح بنعمة الروح القدس.

+ يُفسِّر القدِّيس كيرلس معنى "سلام المسيح"، ويقول: إنَّه عطية الروح القدس التي ننالها في المعموديَّة، وتتجدَّد فينا كلَّ يوم.

الفصل السابع: عمل الروح القدس في الإنسان في المجيء الثاني:

السؤال الآن: ما هو عمل الروح القدس بعد ما يسكن في المؤمن؟

+ لقد استعاد الابن الوحيد سُكنَى الروح القدس مرةً ثانية في البشريَّة، وناله المؤمن بالمعموديَّة، وعاشه عيشةً مُقدَّسة في المسيح بقوَّة هذه السُّكنى؛ ولكن هذا الروح هو الذي يمنح المؤمنين قوَّة القيامة في المجيء الثاني، وسوف يتغيَّرون إلى المجد الذي سيُعطَى لهم مِن قِبَل الله على مثال جسد الابن المُمجَّد الذي قام مِن بين الأموات.

+ عندما استعاد الإنسان فرصة الحياة الأبديَّة بعطية الروح القدس، تغيَّر كيانه إلى جِدَّة الحياة، وتحوَّل ميله الطبيعي للفساد إلى عدم فساد، وانتقل مِن حالة الموت إلى حالة عدم الموت.

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

We present here new chapters of the exposition of Father Matta on the Gospel of St John. Enjoy! Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 62

"That they all may be one, as You, Father, are in Me, and I in You; that they also may be one in Us, that the world may believe that You sent Me" (John 17:21).

THE UNITY of the believers necessitates the unity of the church, the latter being an exhausting task, for which many tried preaching and working. Yet their call was in vain, since churches around the world became followers of their nations, and the nations are divided as well as distant from each other. Each nation has churches divided against themselves, where not even two churches are found to be united. Churches became as numerous as the number of creeds and doctrines. Every doctrine is enclosed within itself without conceding to any other, not even for one letter. Then, division turned into separation.

Despite the rise of those who called for workshops, dialogues, and trials to bring the doctrines closer together, their effect is almost negligible. Those were recorded in minutes together with recommendations without anyone actuating them.

The current division between the different doctrines, even though outwardly appears to be religious and doctrinal, is truly due to a lack of love, even between those of the same doctrine. The problem is not in the religion or the doctrine, but in being distant from God and from love. Christ explained it by saying that "because lawlessness will abound, the love of many will grow cold" and faith will fade.[1] There is therefore no cure for the division of the church, for this is the fate of this generation which became corrupt, worshipping the work of its hands, and neglecting the worship of God.

[1] Matthew 24:12. See also Luke 18:8.

Nevertheless, in the name of Jesus who calls for unity of faith and assembly with one heart to the one God, not for show but for the one truth that unites us to one destiny, we call in the name of the Lord, that the one distant from the faith and he who is close to it may hear us, for all to submit to the voice of the Lord and fear the wrath of God upon us which would be more than the wrath we live in now. The call to unity was my skill, for I had written about it three booklets, one of which reached the Pope of Rome, John Paul II, who received it and sent his gratitude. And that was, as they say, "the end of the matter", for words are easy but works are not. The former Pope of Rome, Paul VI, met the Patriarch of Constantinople, Athenagoras, who oversees the churches of Greece and Asia Minor, and they kissed each other. Then, on another occasion, that great Pope bowed down before the representative of the Patriarch of Constantinople, seeking love and unity. However, his prize was the criticism of many. Thus, unity of the churches failed.

We are warning that the distancing of the church from the other, and that of a doctrine from another, indeed signifies the absence of Christ from the latter and the former. For before seeking unity, it is essential to ask about what leads to it and forms it. Christ says, "that they all may be one, as You, Father, *are* in Me, and I in You… I in them, and You in Me; that they may be made perfect in one."[2] Thus, unity necessitates the presence of Christ and the Father first in the heart of the church and her spirit. Nothing will form this unity other than the unity of the Father and the Son in their presence inside the essence of the church of God. For the unity of the Father and the Son pours upon the church unity, strength and peace.

December 30, 2005

---

[2] John 17:21,23.

Chapter 63
"And the glory which You gave Me I have given them, that they may be one just as We are one" (John 17:22).

TAKE HEED, brethren, and consider the matter, for the unity that Christ created in His first believers had an unbearably heavy cost. Christ offered His glory and placed it with His hand in the hearts of the first believers, and so this was the strength of unity that joined them together under the banner of Christ's glory.

Thus, we ask about the meaning of the current divisions in both the one faith and love. Does it not mean that we trampled the glory of Christ which is the

power and force of unity? This accusation casts the church far away from God the Father and the Son. It makes her a plunder for the enemy who would completely devour and prevail over her, and the worship of the devil would then return. Nowadays we see and hear about the precursors of this situation, if not in all of the churches, then at least in many of them.

Where is the glory of the churches which they had in past generations, when their people lived for the church and the church rejoiced by being full during worship days, with the organ chanting in it together with the rows of choral singers, shaking the whole church, and heard by those far and near? Churches used to be the essence of the living spiritual being, which outshone heaven with its angels. The church was that and more, but this description tends now to belong to the past in most of churches.

Nevertheless, the glory of Christ and the Father continues to be revealed in the hearts of thousands of loving people, who practice with fiery worship and piety as an inheritance from the first generations and worshippers who dwelt in mountains and caves. For the deserts of Egypt still take pride in hermits, worshippers and thriving monasteries, and Egypt still takes pride in this inherited worship.

December 30, 2005

Chapter 64
"I in them, and You in Me; that they may be made perfect in one" (John 17:23).

With this assertion, the mystery of the divine presence reaches man for the first time in his existence. This is perplexing to the mind, and it is impossible for the ability of man to comprehend this transcending and divine truth. For man, throughout his first generations, was alienated from God, lonely, nay an orphan, with no one mourning his state. Hundreds of prophets and teachers arose, and nations were swarmed with preachers, yet they were unable to elevate man's morale and his feeling of slavery to and fear from death and the owner of death.

In our days that are full of surprises, which all come from God in heaven, we hear something to which earth and heaven shake. The angels stand in awe when they realize what Christ says, "I in them and You in Me; that they may be made perfect in one"! And oh, what "one?!" When I examined the case with all that was given to me from power to reveal and uncover, I was able to realize that the "one" who Christ meant, is that the renewed believer, who had attained the Holy Spirit, would enter into the divine realm which is for the Father and the Son.

Since Christ the Son of God was incarnate in man's body, humanity became honored that Christ entered it; that is, He entered its being and human realm. Thus, when Christ was able to annul sin[1] from us, and abolish the power of death[2] from us, then raise us with Him in His very divine being to heaven, and seat us with Him on the righthand of the Father[3], then on account of His being with the Father and in the Father, He introduced us to the Father. In other words, we became in the very realm of the Father. In this manner, Christ performed the miracle of making man one with the Father and the Son. It is something that startles the mind, surpasses the understanding of all who are rational and is beyond all that is conceivable. What shall we say, and with what shall we speak, except that we put our hand over our mouth, and say "Amen, Lord!!"

Nevertheless, this revelation of the greatest of mysteries of Christ and the Father, requires from us a life that is humble under the hand of God, and a pure, untainted worship that befits this calling.

Meditating our past covenant, in the beginning of our life with God, we remember that it was with labor that we would know God, and with arduous effort that we would comprehend Christ's message which He came to fulfill for man's sake. We were content with the crumbs which fell from Christ's mouth, racing to record them and taking pride in the days that made us slaves, or at the most children of God and brothers of Christ, and that sufficed us. The Bible was the source of our spiritual nourishment, and we deciphered its mysteries through the Holy Spirit, who looked after us immediately after Christ.

Nevertheless, now, after the great mystery came directly from Christ, we became, through Christ and in Christ, very near to the Father, and moreover sons and His own. Christ, then, revealed the final and greatest mystery, that we became one in Christ and the Father, rejoicing in our heavenly being which is saved for us in heaven.

With this revelation of the mystery of our unity with the Father and the Son, we truly and in effect become strangers to the earth and to people, and to relatives and enemies alike. Not only that, but also strangers to our own human race, since we became partakers of the nature of Christ and the Father.[4]

"Who has believed our report? And to whom has the arm of the Lord been revealed?"[5] Can the dust inherit the heavens? Can the man of sin, prepared for

[1] Hebrews 9:26.
[2] 2 Timothy 1:10.
[3] Ephesians 2:6.
[4] 2 Peter 1:4.
[5] John 12:38.

death under the dust, become one with the Father and the Son, and obtain the inheritance of the Only-begotten, beloved Son?!

December 30, 2005

✞✞✞

Father Matta El-Meskeen

Renewal of the Holy Spirit

With the coming of Christ and the outpour of the Holy Spirit, the righteousness that is through works of the law came to an end and we became enclosed in the free mercy of God. This was by calling us to be washed in baptism through the action of the Holy Spirit that according to Christian faith renews the first human creation to become with it **the chosen children of God** in Jesus Christ our Savior. Holy baptism with the descent of the Holy Spirit is considered like a heavenly womb for man to be reborn in, and anointed with the Holy Spirit to become Christ the Lord, or rather the son of God, and reckoned an heir to Christ in glory, i.e. worthy to enter eternal life to live with God a spiritual creation, or a heavenly entity after having been a mere human one. This great move God set for man is on the whole an act of mercy of the first degree, which God the Father arranged for man through the salvation He prepared through the death of His Son on the cross and as a sacrifice of redemption in which we gained the adoption by God through grace according to which we became heirs to Christ in glory. This is the core of the Christian faith giving us a living hope through the resurrection of Christ from among the dead, who opened the way leading to eternal life holding our hands to cross over the abyss of this world as the greatest of conquerors. This is through His blood which He shed on the cross to redeem us and untie us from the enemy's imprisonment and the bondage of sin.

After having been Adam's sons and heirs of the earths' curse we became the sons of God heirs to the kingdom of His beloved Son, not for a limited time but forever. Therefore what thanks can we offer God and Christ who freed us from the curse of Adam making us heirs to the glory of His only Son in His kingdom and immortal forever before God?

Thus ended the righteousness of the law that made us inherit penalty and death, and we gained the righteousness of Christ that qualified us to become God's adopted and inherit His eternal kingdom. God's mercy consequently descended upon us and we were freed from the bondage of this age and the humiliation of sin and the suffering of death, through His mercy crossing over the abyss of this world proud in the free work of God He favored us with due to His love for Christ who bore the sufferings of the cross as a sacrifice for us. …

For that reason God renewed our creation in Christ so as to become witnesses and fulfill the glory of God, having resurrected Him from death with the strength of His power to make us live with Him, and for all to become ready to reveal the work of God in Christ to the heavenly hosts to whom the truth of the death of the Son is hidden.

July 1, 2005

[Excerpt from *St Mark Review,* November 2007, p 4, 5.]

✞✞✞

Equilibrium in the Outlook of St Athanasius

The illegitimate and intrusive priests […] inevitably fall into one of two errors, either, from their own need of indulgence, being excessively indulgent, and so even teaching, instead of checking, vice, or cloaking their own sins under the harshness of their rule. Both these extremes he avoided; he was sublime in action, lowly in mind; inaccessible in virtue, most accessible in intercourse; gentle, free from anger, sympathetic, sweet in words, sweeter in disposition; angelic in appearance, more angelic in mind; calm in rebuke, persuasive in praise, without spoiling the good effect of either by excess, but rebuking with the tenderness of a father, praising with the dignity of a ruler, his tenderness was not dissipated, nor his severity sour; for the one was reasonable, the other prudent.

Oration 21, 9, tr. C. G. Browne and J. E. Swallow,
in *NPNF*, Series II, vol. 7, 271–72.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Γρηγορίου τοῦ θεολόγου

Ταῦτα γὰρ τῶν νόθων καὶ παρεγγράπτων ἱερέων ἐστὶ […] τῶν δύω τὸ ἕτερον ἁμαρτάνουσιν, ἢ τῷ δεῖσθαι συγγνώμης, ἄμετρα συγγινώσκοντες, ὡς ἂν μήτε ἀνακόπτοιτο κακία, ἀλλὰ καὶ διδάσκοιτο, ἢ τῇ τραχύτητι τῆς ἀρχῆς, τὰ ἑαυτῶν συγκαλύπτοντες. Ὧν οὐδέτερον ἐκεῖνος· ἀλλ᾽ ἦν ὑψηλὸς μὲν τοῖς ἔργοις, ταπεινὸς δὲ τῷ φρονήματι· καὶ τὴν μὲν ἀρετὴν ἀπρόσιτος, τὴν ἐντυχίαν δὲ καὶ λίαν εὐπρόσιτος, πρᾶος, ἀόργητος, συμπαθὴς, ἡδὺς τὸν λόγον, ἡδίων τὸν τρόπον, ἀγγελικὸς τὸ εἶδος, ἀγγελικώτερος τὴν διάνοιαν ἐπιτιμῆσαι γαληνὸς, ἐπαινέσαι παιδευτικός· καὶ μηδέτερον τῶν καλῶν τῇ ἀμετρίᾳ λυμήνασθαι, ἀλλὰ ποιῆσαι καὶ τὴν ἐπιτίμησιν πατρικὴν, καὶ τὸν ἔπαινον ἀρχικόν· μήτε τὸ ἁπαλὸν ἔκλυτον, μήτε στυφὸν τὸ αὐστηρόν· ἀλλὰ τὸ μὲν ἐπιείκειαν, τὸ δὲ φρόνησιν.

SC 270 , p. 126.

St. Mark*Monthly Review*

Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2025 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK October 2025

Monthly Review

Appearance of God with two Angels to Abraham (Gen 18: 1,2).

Icon from Bulgaria, Monastery of Etropole (1597-1598).